أحمد حضراوي

عصابة شيرين وببلاوي

الذين جعلوا مصر في الوحل!

الكتاب: عصابة شيرين وببلاوي

المؤلف: أحمد حضراوي

رقم الإيداع القانوني: 2015 MO 0298

الترقيم الدولي: 978 - 9954 – 34 - 797

الطبعة الأولى: 2015

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

المطبعة: عين برانت

العنوان: حي موريطانيا تجزئة السعيدي د7 رقم 1 – وجدة

الهاتف: 05 36 68 87 55

أماني الخياط، مجرد مثال على صوت نشاز مصري تعب من كظم غيظه من شموخ المرأة المغربية شموخ جبال الأطلس فتقيأ من على منبر محسوب على طائفية قطرية متفرعنة متطرفة للغباء وقراءة غير واقعية لأحوال الشعوب التي شقت طريقها منذ زمن نحو الحضارة التي أسسها الحرية والمبادرة النابعة من الذات وليس الحضارة التي أثقل كاهلها صخر هرم، ومنبعها سوط جلاد فرعوني! ترى هل كانت وهي في هيستيريتها تعتذر من على ذات المنبر كما يعتذر العبيد لأسيادهم تدرك أنها قد خلطت بين حروف الميم والراء قبلا فتشابهت عليها باقي الحروف، وبدل أن تزيد الصاد فقط ذادت وهي تقصد زادت حرفي الغين والباء!؟

- دور المغرب ملتبس مع الإسلاميين خلال موجة ما اصطلح عليه بالربيع العربي!
- تصنيفه العالمي على لائحة الدول المصابة بالإيدز!
- اقتصاده المبني على الدعارة في ظل حكومة إسلامية!

(ادعاءات أضع عليها ألف علامة تعجب)!

لا أحب أبدا الرد على الأطروحات غير العلمية التي لا تصدر عن هيآت محايدة تعتمد قوانين موضوعية في إصدار حكم أو رأي، أما إذا كانت مجرد قذف وسبّ ممن ليس مؤهلا أصلا لذلك، فذلك أولى ألا يلتفت إليها ويرد عليها خاصة إن كانت من صنف إعلامي لم

يصل إلى وظيفته إلا بعدما مر من أسرة كثيرة حملته كبساط الريح إلى منبر يفضح جهله وتسلقه ومعاييره الخرقاء.

ولا أحب أيضا الخوض في السياسة ولا أحبها أصلا، غير أني أقف هنا عند إفك واحد لأنه يمسني بشكل مباشر: دعارة المرأة المغربية التي هي أمي وعمتي وخالتي وزوجتي وأختي وابنتي وجارتي، والتي هي كل مثال حي على حياة واستمرار هذا الشعب الطيب الذي لم يضرب عبر التاريخ إلا أمثلة للتضحية والفداء لأمته العربية والإسلامية بما فيها مصر التي لا يكن لها إلا الحب والتقدير، كان لهذه المرأة المغربية فيه الدور الأكبر لا شك.

تحدثت أماني عن المرأة المغربية، وأنا أسرد هنا على (شرف) تلك الإعلامية نموذجا فقط من الأسر المصرية حتى تتوضح حقيقة العهر الذي نقرأ عنه كلما فتحنا كتاب ربنا الذي يتلى إلى يوم الدين، قصة بيت إعلامي من طينتها وقصة زوجته!

لكني قبل ذلك، أفتح قوسا بل أقواسا عن الحضن الذي تسللوا عقوقا من دفئه إلى برد التيه في قلوبهم، كيف نصب أمثال هؤلاء أسطورة بلد أصبحت حلما يدغدغ مخيلة المبدعين العرب من كتاب وشعراء ومفكرين، وكيف أصبحت أمنية يتطلع إلى رؤيتها كل عربي ومسلم خاصة وكل العالمين عامة؟ ما من شك أن مصر هي البلد الذي ذكر

أكثر في القرآن الكريم وربما في ما نزل من كتب سماوية قبله، وما من شك أنها كانت مستقر ومعبر كثير من الأنبياء ومكذبيهم أيضا حتى أن أول من ادعى الألوهية من البشر على الأرض كان منها! من عاش ولم يحظ بفرصة زيارة مصر كأن لم يطلع على جزء مهم من تاريخ الحضارة الإنسانية ولو عرفها غيبا. غير أن من يراها مشخصة في مثل هؤلاء، لن يقف إلا على أطلال الصخر الذي ما زال يتغنى به كثير ممن استلهمت قلوبهم من برودتها وقساوتها، فتغيرت معالم إنسانيتهم إلى مضغة حجر وجلمود أنا وعناد.

لا أحد ينكر ما قدمته مصر للثقافة العربية والإبداع عموما، غير أن من يدقق في إنتاجها الأدبي والثقافي الذي روج له إعلام يعتمد معايير من شبت ونشأت في مدارسهم هذه الطغمة المغيبة، يجده جزءا لا يتجزأ من الإنتاج العربي باعتبار أنها وخصوصا حاضرتها القاهرة كانت محطة للكثير من المبدعين الذين اختصرت هويتهم الكتابية في "مصري"، رغم أن ذلك الانتماء لم يكن بتلك الدقة "القطرية" التي سوقها هؤلاء العكاكيش ، وأن ما حققه فلان أو فلان أو علان هناك من نجاح لم يكن لكونه مصريا بل لأن ظروفا تاريخية واجتماعية وسياسية وإعلامية خاصة، خدمته كما خدمت في فترات لاحقة وربما سابقة، الإبداع والمبدعين في الشام والعراق ولبنان، وبلدان أخرى لا تقل أهمية.

كانت المحصلة أن تيسر النشر وتيسرت الشهرة في مصر سواء لمن يستحق أو لمن لا يستحق، حتى أن الكثير ممن ألف وكتب واشتهر فيها، لا يعدو أن يكون ما طرحه من فكر وشعر وإنتاج إبداعي حشوا وتكرارا واقتباسا، لكن بما أنه "مصري" فكان لابد من أن تفرض علينا نصوصه وطّهاته في برامجنا التعليمية منذ مراحلنا المدرسية الأولى وكأن لم يبدع إلا "مصري"!!

إجحاف وظلم كبيران في حق الثقافة المحلية لعل سببه قدرة الإعلام المصري المشوه في معظمه على تسويق كل ما هو منتوج محلي غثه وسمينه كما سوقه قبله السوري واللبناني وغيرهم مع الفارق، يتحمل جزءا كبيرا منه القائمون على الثقافة في البلدان التي استقطبت وروجت لهذه التبعية الثقافية والتعبئة الذوقية دون أن تكون لها نظرة لخصوصيتها ولهويتها الثقافية المختلفة عن كل ما هو وافد حتى ولو كان من أرض النيل " أقصد جزءا من هذا الوادي".

استمرار الهالة المصرية الثقافية في ذهنية المثقف المغربي أو العربي غير المصري عموما لها ما لها وعليها ما عليها، ولعل أبرز ما عليها هو اعتبار أن بوابة النجاح والشهرة والوصول إلى الجمهور العربي الواسع يتم عبر مصر ومصر وحدها. هذا الوهم هو ما دفع بالكثيرين إلى الذهاب إلى مصر بحثا عن هذه الشهرة والمكانة والاعتراف. غير أن المتمعن في المشهد الثقافي سيدرك حين ينظر بعين بصيرة أن فاقد

الشيء لا يعطيه، فبرغم الإرث الثقافي الواسع لهذا البلد، أصبح كل شيء فيه مستهلكا أو يكاد، حيث تراجع الإبداع إلى أسوء حالاته إلا من أقلام وطاقات قليلة جدا ما زالت تبتكر جديدا، سواء في مجال النثر أو الشعر. بل حتى في مجال الغناء لم تستطع مصر أن تعطي صوتا واحدا مميزا بعد وفاة الرعيل الأول من المغنين كأم كلثوم وعبد الحليم حافظ ومحمد عبد الوهاب، لذلك بقيت محتفظة بمكانتهم. فقد رسخ العجز الإبداعي مفهوما مفاده أن ما بلغه هؤلاء لا يمكن أن يبلغه غيرهم، وبذلك وقعوا عريضة مشتركة بوأد كل أمل في ابتكار جديد من ذلك الطراز.

كثيرون اعتقدوا أن هذا البلد يمكن أن يتغير بعدما قام بثورة بعد عقود من الظلم السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وكثيرون لم يدركوا أن التغيير يكون أولا من الذات قبل الانتقال إلى الآخر، فلا يكفي أن تلقي كل المسؤولية على الآخر وتجعل منه شماعة تعلق عليها كل شيء سيء حتى ولو كان الحاكم نفسه. التغيير الذي لا يبنى على سنن ربانية وأسس علمية نفسية متناغمة مع المسار الدولي لا يمكن أن يؤدي إلا إلى تكريس ظلم جديد ومصائب عكسية أعظم مما كانت عليه، لأن المجتمع الجاهل المتخلف الضيق الرؤيا لا يمكنه إلا أن يهدم، أما أن يبني دولة مدنية حديثة فهذا من سابع المستحيلات ما لم يخلع عنه عباءة غشاوته أولا. كما أن الشعب الذي ما زال

يقدس فراعنته حتى النخاع ويعتبر إذلالهم له فريضة وجدانية حتى رفع لهم الصخر في الصحراء أسيادا، لا يمكنه إلا أن يستمر في روحه المستعبدة ولو بعد آلاف السنين. أهرامه تذكره كل يوم أن ظهره ما زال يطلب السوط ليفوح بعرق العبودية الذي من شدة ما تصبب بأرضه تراكم حتى أصبح نيلا يجري، نعم ماذا لو لم يكن النيل سوى العرق الذي تصبب مع ذل المصريين القدامى وهم يحملون صخر الأهرامات لبناء قبور أسيادهم الفراعنة!

كتبت يوما في مقدمة مقال لي على جريدة نجوم الإبداع عن الشاعر المصري موضوع روايتي الأولى "في شراك أحمد بخيت"، أحمد بخيت: "كيد إخوة يوسف وكيد إخوة الشعر": "ما يجمع ظاهرا في هذا الأمر بين إخوة يوسفع وإخوة الشعر وتحديدا هنا الشاعر أحمد بخيت هو انتماؤهم إلى مصر بشكل أو بآخر، وما يجمع باطنا بينهم وبينه هو نفس سلوكيات الشر والغيرة والحسد التي سأذكرها هنا، من خلال توقفي عند مجموعة من المحطات النفسية التي ستبين أن الشر في بعض الذوات المصرية لم يتطور أبدا، وبالتالي فهو متكرر أصبح مفعوله مختصرا كجرائم في (نمطية فرعونية) معينة ومحددة لا تخرج عن إطار تعظيم الأنا واحتقار الآخر، لتنتهي إلى ما وصل إليه إخوة يوسف في الأخير وهو السجود بين يديه والاعتراف له بطبيعة أنفسهم، والإقرار

له بالمنزلة التي أنزله الله عز وجل إياها من دونهم، وطلبهم إلى أبيهم يعقوبع أن يستغفر لهم ربه".

غير أني ووجهت بردة فعل شديدة من أصدقاء مصريين تعجبت لها رغم أن هذا السلوك النفسي موثق في أصدق الكتب السماوية وأصحها:

- "لترد على أحمد بخيت تتعرض للشعب المصري هكذا!!.. لا يا أخي راجع هذا المنحى فقد أغضبت مصريين كثيريين، اللصوص والنصابون فى كل بلد، راجع، تحياتي".

وطلب مني آخرون أن أحذف مقاطع أخرى من المقال رغم أنها لم تكن سوى دراسة نفسية للشر في بعض النفوس، تخصص دون أن تعمم، فالتعميم غالبا ما يكون إجحافا وظلما.

لا يمكن أن تصبو إلى الحرية حين ترضى بالعبودية وتستسلم للقيد، بل حتى إن تكسر قيدك من شدة صدئه اعتبرت ذلك منحة من الفرعون الذي بعث من غرقه وعاد في تابوته إلى المتحف المصري ليحرس نظراتك إليه ويراقبك عبر الزمن الذي تطور بك لكنك لم تتطور به! لا يمكن للفكرة أن تتولد دائما بين صخرة وحبة رمل وقطرة نيل إذا لم تذرها يوما رياح من أقصى المشرق أو المغرب. ربما حاول شيشنق أن يبعثر تلك الأنا بجرة قلمه التي كتبها شمال ضفة النيل،

وربما بددها بسيفه فقط، لأن من اشتم رائحة الحبر يومها كان قد طمس حواسه الأخرى إلا عن ضربة سيف.

حتى حينما تحطم ذلك النصل، لم يرمه العبيد ليحملوه في وجه غاز بل زادوا في تهشيمه ليبيعوه في سوق النخاسة كذكرى وشم جلدة سوط آخر على ظهورهم التي تعودت على غضب الرجال!

رؤية أصبحت ثقافة مؤصلة ومتأصلة وقديمة جدا تبلورت في الاستكانة والكسب بأية طريقة وبأي مصدر ولو كان القهر، المهم أن تدر دراهم معدودة تكفي مؤونة نسوة المدينة من طعمية وكشري، وما تنبت الأرض من بقل وقثاء وفوم وعدس وبصل، وما يخرج من بطون نحل مصر من عسل "مغشوش" يشجي بعض الحبال الصوتية لتتغنى بـ : "إحنا إحنا إحنا"!

تفتح مصر أبوابها لمن عشقها غيبا وقطع المسافات الطوال فقط ليستنشق فيها هواء الأنبياء، لكن سرعان ما تزكمه رائحة فراعنتها المنبثة من كل مكان أول ما يصلها، حتى أولائك الذين يرمون بأقلامهم مع من رمى كما يرمون نفاياتهم عند أقدامهم وتحت أَسرتهم، ويطفئون سجائرهم حيثما تصادف في حماماتهم أو مطابخهم الهزيلة، لتطفو نفوسهم مع دخانها المتطاير إلى الأعلى حتى تكاد تصطدم بسقف البيت أو أعلى الهرم.

مع ذلك النفس المتطاير ولعله نفس الشيشة أيضا، تتبختر تلك النفس التي ما زالت حويصلتها تئن من الجوع، لترسم بكبريائها الأجوف معالم الثقافة العربية وطرق تفريغها في قوالب مكتوبة يسكبها أمل النشر والوصول إلى أكبر عدد من القراء، دون أن تغفل المهمة التي ميزتها عن باقي الشعوب العربية، حتى لتكاد تكون مهمة بعض مثقفيها القومية الوحيدة: النصب والاحتيال، ولو على أدمغة الأمة العربية من كتاب وشعراء ومثقفين، الوافدين على القاهرة من كل حدب وصوب.

عصابة شيرين وبلاوي

وتغريني بما غنجت

وراء ستائر الجدرانْ

ولم تعلم بأني لا

محيد لديّ عن إنسانْ

لديكِ طبيعة أنثى

ولي شرف غدا عنوانْ !

أحمد حضراوي

- ١ -

تحمله قدماه المتورمتان في طريقه المعهود، يقطع نصفه بما تبقى له من نَفس، ويلتفّ يمينا عند مكتب البريد، خطوتان ويصل إلى باب العمارة. يخرج منديله من جيبه ويتحسس به جبهته المتصببة عرقا قبل أن يدلف نحو البضع سلالم المتبقية حتى الطابق الذي به شقته، جسمه البدين ينزف ماء مالحا كل مسافة. هو ذاته العنوان الذي يعود إليه مرهقا كل مساء من عمله: الشقة رقم ١٢، شارع السكاكيني بحي الظاهر، القاهرة.

يصعد ببطئ لاهثا يكاد لسانه أن يصبح على صدره كوسام نهاية خدمة حتى باب الشقة، يفتح ترباسه، يدير المقبض، يبتلع تفاحة حنجرته قبل أن يتصنع ابتسامته البلهاء ككل مرة، يقتحم عتمتها وشذى عفونتها. تحس به زوجته فتخرج عنقها من باب المطبخ تتأمله شزرا بعيونها المتفحصصة، لا يضع إلا بدلته على الكنبة المتهلهلة وسط الصالون ويطرح من فوقها الجرنال الذي عادة ما يلتقطه من على أحد مقاعد الميترو أو عربية مواصلات، تجر عنقها نحو الخلف

كالسلحفاة، وتستمر في تقشير حبة البصل اليتيمة التي جاد بها مطبخها يومها لتزين له بها صحن الفول البائت:

- إنت رجعت يا مدهول؟

- آه، ومن غير ما اقولك، هلكان.

- هلكان! من إيه يا حسرة؟

- من الشغل يا حبيبتي، المشوار من مدينة الإعلام لحد هنا بقى يقرف ، زحمة وحّر ووو...

- شغل! شغل إيه ده وإعلام إيه اللي ما بيأكلوش لا عيش ولا بيدفعو حتى حق المواصلات؟

- هانت.

- على قولك يا خويا، هانت.

- إلا ما قلتلكش..

- في إيه ثاني يا مدهول؟

- النهار ده أنا سجلت مع واد مغربي، طلع متمكن جدا وانا اللي كنت ناوي أتريق عليه لكن النصيب بقى. تصوري من أول خمس

دقايق من الحلقة لقيت نفسي في نص هدومي، الواد بيتكلم فصحى كويس قوي، وانا من لخمتي معرفتش أجاريه فكانت كل أسئلتي ليه بالعامية.

- بالعامية، ما انت شاعر عامية ولاّ لازم أفكرك بيها كل مرة، يعني حتاكل بعقلي حلاوة أنا كمان ولا حتاكل بعقلي حلاوة!

يضحك أحمد البلاوي :

- آكل حلاوة بعقلك إنتي الزاي بس؟ يا كل الحلاوة انتي يا قشطة يا قمر.

- توهني يا واد توهني، ما انا عارفاك، بق وبس.

تحاول أن تكمل ما بيديها لكن تلتفت فجأة إلى زوجها الذي استرخى كذكر البط على الكنبة:

- أنا مش عارفة الزاي الكنبة دي مستحملة جثتك لحد دي الوقتي، كانت المفروض اتدشدشت من زمان!

- من زماااان هههه، ومالك يتقولي بالطريقة دي؟ وأصلا مالك يا ولية النهار ده؟

- مالي، يعني مش عارف مالي يا وش النحس؟

- ما انتي شايفة كل حاجة بعنيك، بحاول اتصرف.

- إتصرف يا خويا وابقى قل لي لما تتصرف.

- إلا تعرفي، أحمد مغربي صحيح لكن ساكن ببلجيكا، وسمعت أن عاصمة بلجيكا إسمها اليورو هههه..

- أحمد مين؟

- أحمد حضراوي الشاعر اللي عملت معاه مقابلة النهار ده، مقابلتين وحياتك مش واحدة بس، مانا لسة قايل لك عليه قبل شوية، ولا هو الزهيمر بقى.

- قلت لي، ومحفظته مليانة؟ زهاميمر هير.. إيه هو دا؟

- إيه هو اللي إيه؟ آه الزهايمر، لا دي جبنة بلدي زيك جديدة حينزلوها السوق قريب.

- والنبي، إبقى جيب لينا منها شويه، نفسي في الجبنة البلدي والله من زمان!

- يا ولية إنت متخرجة من أيها بيئة جاهلة بس، أنا بكلمك عن الشاعر المغربي، أنا شفت كرمه الزايد معايا، ده بيصرف من غير حسااااب.

- دستور يا بيصرف دستور، إلا قل لي هو شكله الواد ده الزاي؟

- آهي الفلاشة عندك في الجاكيت ، إتفرجي عليه وانت تعرفي، يمكن..

تقفز نحو باب المطبخ بابتسامة لئيمة، وتنظر إليه بقسوة:

-آه يمكن يعجبني آه، ليه لا؟ هو ربنا كان اداني رااااجل وانا قلت لأ، الله يجازي اللي معيشني في اللي أنا فيه!

- خلاص يا ولية، إنت ناوية تقلبيها لي مناحة النهار ده ولاّ إيه، إيه مالك بس؟

- ما هو انت مش حاسس بيا.(تقولها بدلع شديد).

- يا ستي إنتي اتفرجي بس على التليفيزيون على بال ماخد شاور، وبعدين يحلها ألف حلّال.

- شاور الهنا يا سبع البرومبة.

تعود أن يغني في حمامه العفن أغاني شعبولة الفنان المفضل لديه، غير أن صوت شيرين بدأ يتعالى إلى مسمعه متنرنما منتشيا، أخذ منشفة لفها حول كرشه ذي الطيات التسع ودلف نحو صحن الفول قبالة التلفاز. لم يستغرب حين رآها قد خففت من لباسها بل خففت كل

لباسها فلم تترك إلا القطعتين الأساسيتين عليها وقميص نوم قصير شفاف أسود حتى الركبتين وهي تتمايل رقصا وتتفرج على التليفيزيون. كان يدرك رمزية هذا اللباس لديها ويدرك حالة زوجته النفسية الملحة حينما ترتديه، ويدرك أيضا حالته الجسدية التي بلغها بسبب داء السكري وضغط الدم الذي يعاني منهما وبلاوي كثيرة غيرها، بسبب إفراطه الكبير في تناول أصناف المخدرات والخمور المضروبة. كان يعلم أن ثمن صبر زوجته عليه وعلى انتهاء صلاحية فحولته وعدم طلبها الطلاق لضرر بالغ، هو إرضاؤه لمتطلباتها عبر طرف ثالث يدفع في مقابل ما يفترض أن يلبيه لها هو الذي يربطه بها ميثاق غليظ وعقد مأذون!

- إنتي مش خايفة حسين ولا إسلام ولا حتى نور الزغنون، ييجوا ويلاقوك على الحال ده؟

- هو يعني عشان أنا خلفت بغلين وجحش أنسى أني أنثى.

- أنثى، (يكرر بعدها البلاوي بسخرية).

- آه أنثى وغصب عنك، إيه مالي هو فيه حاجة ناقصاني ولا حاجة ناقصاني.

- يا بنت الحلال أنا بأمن لك القعدة بس.

- دول ولادي وانا مربياهم على إيدي أحسن تربية، وعارفين أن مامتهم بتشوف الويل عشان تنغنغهم وتدلعهم. طالعين لي وبيسمعوا الكلام.. شيلاه يا يورو!

- ٢ -

صفر صفر إثنين صفر واحد صفرين سبعتين، كمان صفر سبعة أربعة ثلاثة وهوب أربعة، الرقم الذي تتصل عليه غير متوفر حاليا، إضغط...

صفرين إثنين صفر واحد واحد خمسة ثلاثة ثمانية كمان خمسة ستة سبعة ستة تسعة، الرقم الذي تحاول الاتصال به مغلق أو غير متوفر حاليا، اض...

- يووووه، إنتي فين بس يا بنت الـ.. ، ولا بلاش شتيمة لاحسن أروح النار هههههه!

إنتي فين بس، رحتي فين الساعة دي، انا جيعان، عايز أكل يا شيرين، إوعي تكوني.. لا مش حرحمك المرة دي، لازم آخذ حقي، آه الحق حق والاتفاق هو الاتفاق، ولا هو الواحد حيبقى راجل الزاي إذا ما فرضش كلمتو على مراتو؟

ما زال يحاول كمن أصيب بحالة هيستيريا قوية أن يتصل بشيرين التي أخبرته أنها ستقضي يوم الجمعة هذا ببيت أبيها بفيصل لكنها لا تجيب على مكالماته بل أن حتى خطها مقفول، تذكر أخاها نبيل فجأة، لم لا يتصل به هو ليعرف منه هل هي ببيت الوالد أم أنها غيرت وجهتها إلى مكان آخر لا تريده أن يعلم به أو يكتشفه.

صفرين، اثنين صفر واحد واحد ثلاث اثنينات ثلاثة خمسة واحد تسعة أربعة:

- ألووووو، فينك يا عم نبيل، يعني لا بتسأل ولا بتعدي علينا ف الظاهر.

- والله يا عم ببلاوي إنت عارف الظروف، الشغل تعبان، والبنزين مفيش وووو...

- الله يخرب بيت الثورة ع اللي عملوا الثورة.

- والله عندك حق، ده احنا كنا كويسين مع مبارك، كانت أيام..!

- إلا قل لي، شيرين عندك؟

- أنا برة البيت دي الوقتي، بس أكلم لك الحاجة وأرد عليك.

ترن ترن ترن..

- أيوه يا نبيل..

- نبيل مين يا رخم، أنا شيرين.

- شيرين، إنتي كنتي فين طول النهار، وإيه حكاية موبايلك المقفول من الصبح.

- كنت في الشغل يا حمش، بس تعرف، طلعت براءة لأنك افتكرتني راجل مش واحدة من إياهم.

- أنا افتكرتك نبيل أخوك.

- بهزر معاك، ليه هو لو كنت بتكلم ستاااات كنت حزعل منك يعني ولا كنت حزعل، مانا عارفه البير وغطاه ههه، هو انت كنت محتاجو ف حاجة؟

- ثاني يا شيرين ثاني، إنتي ليه بتسممي بدني زي كل مرة بموالك ده؟ كنت عايز أعرف منه يا ستي إنتي وصلت بيت أبوك ولا لسه.

- وعرفت دي الوقت هههههه؟

- إيه يا شيخة، إنتي شاربة حاجة ولا إيه؟

- شاربة شربات يا دلعدي، ولا اقولك من الصنف اللي بتشربه انت هههه.

- وبعدين معاك، قولي كنتي فين، وراجعة البيت إمتى بس؟

- كنت في الشغل يا بيه.

- شغل! شغل إيه ده اللي انتي بتشتغليه؟

- الشغل الشغل الشغل، كنت يا حبيبي في الشغل...

- وبعدين بقى، إتلمي شوية يا بت.

- بت لما تبتك يا حبيبي هههه..

- لا الظاهر انكي انتي رايقة النهار ده، هو فيه إيه؟

- يا احمد يا ابن ام ببلاوي بالمختصر المفيد أنا كنت في الشغل اللي انت بتشغلني فيه، ولو كنت ناسي أفكرك.

- هو انتي كان عندك بروفة النهار ده؟

- آه بروووووفة يا افندم هههه مع صاحبك المسمسم، بس تصدق ده مليان، وكمان هو بصراحة هو جام...

- خلاص يا ولية، بلاش التفاصيل دي، أهم شيء تكوني انبسطتي، ولا من غير ما اسال، ما هو باين. إلا هو اداكي كام؟

- إداني كام يا شيخ منظر، وانت مالك ؟ يعني هو كان هبر من لحمك ولا من لحمي؟

- هبر ! إيه الالفاظ دي يا بت، ده انتي بقيتي بيئة.

- تربية إيدك يا ببلاوي، ولا نسيت، وان كنت نسيت أفكرك بقى يا فحلي!

- خلاص ، هو اداكي كام، زي ما اتفقت معاه ولا زودك حبتين؟

- ما انت عارف انه كريم، وبيزود!

- أكيد انتي كمان زودتيه حاجات أوبسن كمان؟

- طب بلاش تزودها انت كمان، إختشي يا جوزي، دي أسرار الشغل، دي أسراااار، وبصراحة مالكش فيها خالص غير زي كل مرة.

- والله وبقيتي معلمة يا شوشو، من ايام لسة كنتي بتروحي ع الزبون وانت خايفة وعاملة زي الفرخة المذبوحة، ودي الوقت لا وإيه، بقى قلبك جامد ولا شيخ الغفر في بلدنا.

- ما هو من غلبي معاك، هو في راجل بيعمل مع امراتو اللي بتعملو معايا يا.. يا ذكر.

- ما هو غصبا عننا يا شيرين، انتي عارفة البير وغطاه، وشايفة الصحة معصلكة معايا خالص، والمصاريف اللي...

- شايفة يا خويا بس نقطني بسكاتك، أنا بالبيت، رجعت من شوية.

ترن ترن ترن...

- في إيه ثاني يا حبيبتي.

- حبيبتك مين، أنا نبيل، كنت عايز أقولك أن..

- عارف هي لسة مكلماني وقالت أنها رجعت البيت.

- هههه، إنت بتقول لاختي يا حبيبتي هههه، مش عيب عليك؟!

-دي مراتي حلالي، ولا نسيت هههه؟

- هههه، نسيت أنك تجوزتها هههه، أنا لسة ببالي أيام ما كنت مصاحبها، حتى إنها .. منك وانتو لسة مخطوبين قبل ما.. ووو..

- وبعدين في السيرة دي يا نبيل، أسيبك دي الوقت لأنو ورايا مكالمة مهمة.

- أوكى يا حمش، أنا كنت بهزر معاك بس.

يقفل أحمد البلاوي السكة وهو يلعن جهرا يومه هذا ويلعن زوجته، ولا يبخس صهره بنصيب وافر من الشتائم: عيلة حواري صحيح.

- تاكسي... ميدان الظاهر من فضلك وبعديها حدلك ع العنوان...

ما دام فيها بنكنوت، يفضل البلاوي ألا يتمرمط في عربية المواصلات التي يضطر إلى دفع الدوبل بسبب جثته الضخمة، فالمقعد الواحد لا يكفيه، وبما أن المدام قد بشرته بما يدفئ الجيب ويشحن الهاتف فلا ضير من ركوب تاكسي.

وهو ينزل بصعوبة من السيارة، لا ينسى أن يتصل بحبيبة قلبه التي (اداتو بومبة) بعدما أخلف وعده لها بالزواج حتى أنها حاولت الانتحار بسبب ذلك، "م.ج": صفر، واحد صفر، تسعة، صفر، أربعة صفر اثنين أربعة واحد ثمانية:

- إنت عايز إيه بعد كل اللي عملتو فيا؟

- عايز أمسي ع الحبايب، أنا بحبك يا ميمي، ونفسي أتفاهم معاك.

- حل عني يا احمد، حل عني يا ببلاوي، وإلا والنبي لافضحك، إنت سيرتك بقت كلها بـ.. بلاوي.

- لا وعلى إيه ، سلام عليكم.

صفر، واحد، صفر اثنين واحد، ثمانية، تسعة، اثنين اثنين سبعة خمسة : ألو، الزيك يا حبيبتي، واحشاني موت، القناة اللي بشتغل فيها، ادوني دفعة مهمة ع الحساب، ونفسي أدلعك، بس القرشانة اللي عندي بالبيت أدبر لها مشوار وابعث لك تيجيني البيت.

- أوكي حبيبي.

- أنا محضر لك كيلو عسل نحل عشان بعرف إنك بتحبي الماساج.

- اختشي بقى يا احمد، الله. ولو إني عارفه أنو مفيش فايده منك هههه، لكني حاجي عشان أسمع كلامك الحلو بس، مانت عارف نقطة ضعفي، لازمني مصاريف للجامعة ووووو...

- خلاص يا ياسمين خلاص فهمت فهمت.. أوكي باي دي الوقت أنا وصلت باب العمارة.

- سلام يا خويا.

يفتح الباب ويدخل الشقة : نصيبي فين ؟

-٣-

- في إيه، إنت متسربع كده ليه، مش لما آخذ حمام الأول وأرتاح لي شوية ونبقى نتحاسب، ده الثور اللي كنت عنده هدني هد.

- ليه هو بيلعب حديد؟

- لا بيلعب حاجات ثانية يا خويا. وبعدين إنت مالك، بتحشر نفسك في اللي مليكشي فيه ليه أصلا؟ كان يوم إسود لما وافقت أتجوز واحد منظر زيك، أووووف..

- أنا جيعان..

- آهو ده اللي انت فالح فيه، أنا جيعان، أنا عايز أتخمد..

- أنا رايح مشوار.. إلحقني قوام إلحقني..

- وكمان بتهزر، يا خيبتك يا ببلاوي يا ابن أم ببلاوي يا خيبتك، إلا بالحق هي أمك بحق وحقيق ولا جابتك من ملجأ الأيتام، ولا من الحارة اللي جنبكم؟؟..

- هههه رايقة انتي، بس نكتتك بايخة...

- مش أحسن ما اسألك عن أبوك، يا ترى حسين هو أبوك الحقيقي ولا غيره؟

- لا إنت ناوية النهار ده على خناقة بقى.. ما هو كل ما نيجي للفلوس لازم تعكنني علي.

- مالك، عاملي فيها سبع البرومبا، يعني يا خي أنا قلت حاجة مش كويسة ولا قلت حاجة مش كويسة؟ ده سؤال بريء!

- بريء، يعني بتشكّي ف نسبي لبويا وبتتهمي أمي.. أعوذ بالله.. وبتقولي سؤال بريء، لا ده انت زودتيها خالص؟

- بص في عنيا، بص لي، يا حبيبي إحنا عيلة.. وبلاش نضحك على بعض، يعني أنا آه وامك لأ، ليه هي كانت رابعة وانا مش عارفة!

تكمش شيرين كمشة جنيهات وتضرب بها على صدر أحمد:

- آهو حقك يا خويا لَـ.. تتهمني بأني بسرقك ولا بضحك عليك، الحق حق، آه، بس نقطني بسكاتك، أنا دماغي دوشاني دي الوقتي ومش ناقصاك، واهو عندك في المطبخ شوية فول وكبدة، إطفحهم بالهنا والشفا وسيبني أغمض لي شوية قبل ما الولاد يرجعوا، تصبح على زفت.

يرسم ابتسامته الماكرة على وجهه وهو يضم الجنيهات التي غنمها من غزوات أحد الفحول لسرير زوجته:

- وانتي من أهله يا ماما، وانتي من أهله!

تتسمر عيناه على صحن الفول وبضع قطع الكبدة الصغيرة بالصحن البلاستيكي الآخر وعلى فحل البصل أمامه على طاولته الخشبية المهلهلة، التي تكاد قوائمها الأربع أن يغمى عليها إلى الأرض من شدة نتانتها. لو كان لها لسان لصرخت منذ زمن طويل أن اسكبوا علي بعض الماء ونظفوني! أخذ حبة البصل وحين أراد أن يقضمها بشراهة جوعه التي جبل عليه بطنه الواسع توقف لبرهة. أدرك أنه كان من المفترض أن يكون هناك فحلان تربطهما علاقة طاولة، غير أنه بدونيته لم يعد حتى في مستوى بصلة ما زالت تحتفظ بلقب "فحولتها".

وكأنه أراد أن ينتقم منها ومن لقبها المصري الشهير، رفسها بيده لكنه لم يستطع تهشيمها، أإلى هذه الدرجة يعجز عن تهشيم بصلة، مجرد بصلة مستسلمة أمامه كميت أمام غساله !؟ جمع قبضة يده وضربها بمطرقتها، هذه المرة تفتتت حتى ساح منها سائلها الأبيض أمامه، ارتعش من هول ما رأى وفزع. رسمت له مخيلته أن هذه البصلة قد نفثت في وجهه تعابير فحولتها قبل أن تتحول في طبق فوله إلى ما لا

يشتهيه، قام بجنون وسواسه ليلقي نظرة على زوجته الغارقة في نومها، سرعان ما تحولت النظرة إلى سماع، فشخيرها يزعق في المكان ويكسر كل حواجز الصبر، يغلق باب غرفة النوم، ويعود إلى لعق ما تبقى من أثر فول الأرض بصحنه، يلعق بعدها أصابعه ثم ينبطح على الكنبة الخشبية ليواسي شيرين في سامفونية الشخير، الذي يصل صوته إلى ميدان التحرير.

- ٤ -

لا يكلف نفسه حتى عناء المرور بمغسلة حمامه لينعش وجهه ببعض الماء بعد قيلولة على إيقاع سامفونية النوم العميق، يتسرول بسرعة تناسب شحمه المتدلي من كل أنحاء جسمه "الديكور" ، يتحسس بيده اليمنى جيبه الخلفي ليطمئن على الجنيهات بعد لهاث، يعدها ثانية فيجدها كاملة غير منقوصة، يستغرب كيف لم تسرق منه زوجته

بعض الورقات منها هذه المرة، لتحلف له بعدها بالمصحف الشريف أنه هو من أنفقها على خمره وقماره ثم جاء ليتهمها بعد ذلك زورا وبهتانا! ظلت النقود على حالتها وظلت شيرين "متخمدة" على غير العادة، يبدو أنها مرهقة مجهدة أكثر من المرات السابقة، ترى ماذا حدث "عليها" في شقة ذلك الزبون؟ - تساءل أحمد البلاوي قبل أن يعقب بابتسامته البلهاء- غير أن انفراجة شفتيها التي يراها ترتسم أمامه كلما تقلبت كسمكة بمقلاة لا تدل إلا على أنها راضية مرضية، منذ زمن لم يرها سعيدة كما اليوم، هل لأن المحظوظ كان...!

يعبر ميدان الظاهر ورجلاه بالكاد تسعفانه مشيا، يتوقف عند محل عصير القصب عند محطة غمرة، يفرغ في جوفه ما تيسر من الكؤوس رغم مستوى سكره الذي تجاوز المسموح به بمراحل، ثم تسد نفسه فجأة حين يلمح للمرة الألف أثر الجرح الذي بمعصمه، اندمل لكن أثره بنفسه ما زال هو هو. لم يعد يتذكر عدد المرات التي قطع فيها شرايين يده وهو يحاول الانتحار، لم يعد يتذكر دوافع تلك المحاولات، ما يتذكره دائما وأبدا هو أنه مثل ذلك التكتك القابع أمامه، يحتاج فقط إلى بنزين ليقطع مسافة أخرى حتى ولو كانت في اتجاه نهايته !

عندما ينسلخ المرء من كل قيمة إلا من "مظهر المهم"، شاعرا عاميا لا يستطيع تركيب جملة فصيحة سليمة أو إعلاميا فاشلا يحاول أن يظهر بغير حقيقته فينكسر وهمه على صخرة أول محاور متمكن، أو

صحفيا قدوته تلك الكلاب النابحة على بعض قنوات لا يتفرج عليها إلا زوجاتهم وأقرباء العاملين بها. تبدأ دوامة الخداع الذاتي مضفية بريقا على هالة الوهم الذي سرعان ما تبدد كحله أول دمعة حقيقية بعد أول صدمة حقيقة مثلها.

بعد سلالم الميترو المنهكة يقطع الرواق الطويل حتى كشك التذاكر، يتدافع مع من يتدافعون أمامه ثم ينزل بصعوبة إلى الرصيف، يقفز بكل ما تبقى له من جهد في إحدى العربات المكتظة كالعادة، ثم ينزل متصببا عرقا في محطة "الأوبرا"، يمشي بجوار السياج الحديدي ثم يمر على البوابة الخلفية لمقهى الهناجر، يتسكع قليلا بين الطاولات المكتظة بالزبائن، يحول نظره يمنة ويسرة باحثا عنها. لابد وأنها بالداخل في أقصى اليمين خلف طربيزتها التي تعودت عليها، لم يدرك يوما سر ارتباطها بتلك الطاولة بالذات وبتفضيلها "قعدة جوة" بين الجدران المغلقة بدل القعدة الشرحة البرحة في الخارج خاصة في هذا الجو الرائع والمنظر الربيعي الخلاب.

- أخبارك يا هويدا؟ والله زمان.

- أهلا يا احمد الزيك؟

- بيحاربوني، لكن نعمل ايه؟ دي ضريبة النجاااااح!

- من حظك، ولا أقولك من حظنا احنا الاثنين، أنا كمان مش فاهمة الناس بقت وحشة كدة ليه، يا ساتر.

- إلا أحمد أخباره إيه؟

- مين قصدك، حضراوي ؟

- حضرااااوي هههه، لا أنا قصدي أحمد بخيت، إنت لسة شغالة معاه؟

- آه لسة مسكالو المكتب، بس شغل على مفيش.

- إيه خير ؟

- ما انت عارف بخيت بخيل، شغل من غير مرتب، بس آهو احنا بنستفيد بشكل ثاني.

- الزاي يعني ؟

- لا سيبك من الموضوع ده. تعرف مش حتصدق اللي عملو بخيت مع حضراوي، الولا يا حبة عيني جيه يطبع ديوانه ف دار كليم، جيه بخيت وضبو آخر توضيب، تصور طلب منه مبلغ خيالي مقابل ديوانه.

- وصاحبنا المغفل وافق؟

- آه ده اللي مجنني، وافق وكمان دفع عربون، وإيه باليورو !!

- الولد عمل معايا حوارين على القناة، وانا دي الوقت برسم لو على ثقيل، ومادام إنت شايفة أنه معاه بقشيش وسهل يتخدع، لاعبيه إنتي كمان يا ماما بس من غير ميحس إننا متفقين عليه.

- هو انا عيلة يا احمد، أنا لما شفت اللي عملو معاه بخيت، الشغل اللي على أصوله، قلت لازم أوضب له توضيبة متخرش المية أنا كمان، تعرف أنه طيب وقلبه حنين يا ولدان، وكلمة تديه وكلمة تجيبه، وانا لازم أنول مرادي منه، وإلا مبقاش أنا هويدا فلاور بقى.

- بالهنا والشفا هههه، الظاهر إنك نسيتي اسم ابوكي كمان، قال فلاور قال، الله يرحم أيام هويدا عبد الواحد حسين. لكن تبعدي عن سكتي، وأهم شيء خليه فاهم أنه أنا وانت مش قريبين من بعض خالص، زي ما الكل فاهم اننا على خلاف، خليه هو كمان فاهم إننا شبه اعداء، زي مبحاول افهمه إني أنا وبخيت مش ولابد.

- مش قريبين خالص، خلاص يا بعيد، نسيت أيام الزمن الجميل؟!..

- الله بقى ياهويدا هههه، خلينا في الجد بلاش هزارك المتنيل..

- إنت داهية، وانا عارفة كده من زمان، أهم شيء لما تكون قاعد معاه وشايف ان الوقت مناسب للخطة، ابعث لي ميساج عشان أكلمك وامثل عليه ونشوف، مين عارف يمكن ينولنا منه كام ألف!

- اتفقنا، بس ماتبالغيش في المبلغ اللي حتطلبيه، خليك قنوعة معاه، وما تنسيش نسبتي بقى.

- ٥ -

يتوقف بي الميترو الذي يئن على خطّي سكّته الحديدية طوال مسافة الرحلة من المعادي بمحطة غمرة أخيرا، أحاول أن أنزل منه كسائح متحضر دون أن أصدم أحدا أو أتعثر في بضاعة مفروشة على جانبي مخارجه، لكن ما حذرته أنا لم يتعود عليه ذلك الطوفان البشري الذي لم يتعلم ما تعلمته أنا في الغرب، احترام الغير وعدم أذيته وتقديس جسده وتجنيبه الركل والعفس والدفع كما لو كان في حظيرة بهائم وادي النيل وليس بين ناس يدعون أنهم خير أمة أُخرجت للقومية العربية، تماما كما زعم بنو إسرائيل أنهم شعب الله المختار!

وصلتُ بعد لأي إلى أسفل الدرج ليتفحصني العساكر الكامنون تحته بنظرات أوحت إلي أنني أصبحتُ مطلوبا في هذا البلد الذي وعد داخلوه بالأمان دون أن أعلم. يكاد يجف حلقي وتنهار قواي من

شدة الحر فلا أجد بدا من المرور بمحل عصير القصب القريب من المحطة قبل أن يصل أحمد البلاوي لاستقبالي. دائما يعدني بأنني سأجده أسفل الدرج غير أني أضطر كل مرة لمهاتفته وانتظاره زمنا حتى يأتي (براحته).

هاهو ذا يتمايل كالدب البري من بعيد بجثته الضخمة على قدميه المتورمتين، تسبقه ابتسامته البلهاء كبشائر نحس دبر بليل أو تدبير، كنت حتى تلك الساعة أعده -بسذاجتي- من الأخيار المكافحين الذين لا ييأسون في سبيل تحقيق نجاح مستحق وعيش كريم. لم أكن أدرك بعد خبايا نفسه القذرة التي لا أظن جيناتها تعود إلا إلى إحدى من قطعن أيديهن في زمن الحسن، لابد أن إحداهن حبلت بأول سلالته سفحا!

- أهلا يا ابو احميد، وحشتني يا راجل، أنت بتغيب علي كده ليه، يا عم الظاهر كله مشتاق لك، تعال نقعد على القهوة ونشرب لينا كبايتين شاي نعدل بيها المزاج، ده احنا لينا كلام كثير يا شاعر.

أرد عليه السلام على منوال قلبي الذي لم يستسغ تلون كلماته معي هذه المرة، أرافقه إلى القهوة التي تعودنا أن نجلس عليها كلما جئت الظاهر، قطعنا ذلك الزقاق المتسخ الذي يسمونه شارعا، انحرفنا يمينا ثم شمالا ثم مررنا تحت كوبري قفزت في وجهي أزباله وقاذوراته وكأنها

تعلن عن هوية بعض ساكني الحي. وصلنا أخيرا إلى تلك الساحة المتربة التي تناثرت بها بعض الكراسي البلاستيكية وبعض الطاولات المعدنية الصغيرة، والتفت حولها وجوه يخرج من بعضها الشر كثيفا ككثافة دخان الشيشة الذي ينبعث منها.

جلسنا كالعادة في مكان شبه منزو عن غيرنا من الزبائن، أسندنا ظهرينا إلى الكوبري الذي ظل يهتز بسبب كثافة المرور فوقه والتي لا تتوقف لا ليلا ولا نهارا. بدأ بسرد مغامراته مع الحسان وكيف يصل إلى إغرائهن بالشهرة والتوظيف في القناة التي يعمل بها، طبعا بعد أن يعدهن بالزواج وبمساج العسل الذي يدعي أنه يحسنه معهن.

أخذني الملل ككل مرة حينما يتطرق للمواضيع التي ينفس فيها عن عجزه، وكأنه نسي أنه قد حدثني عن ضعفه الذي أوصل زواجه إلى نقطة اللا عودة أو كاد حتى وصل به الحد إلى قبول إرضاء نزوات زوجته بغير جسده، فقد قبلت شيرين منصور أن تستمر معه بشرط أن يجد لها من يعوض عجزه تجاهها في فراش الزوجية. كنت أكاد أن أجن وأنا أستمع إليه يتحدث عن ظروف بيته الحميمية بتلك الصراحة المفرطة، لكني لم أكن أدرك بعد دوافعه لإفشاء كل تلك الأسرار الغريزية لي، ولي أنا المغربي الغريب بالذات.

تقطع رنة هاتفه شرود ذهني في عالم هذه الأسرة الغريبة، وتقطع أيضا استرساله في الكلام عن غزوات فحولته المفترضة، يبدأ في تهدئة المتصلة التي فهمت أنها هويدا عبد الواحد حسين أو هويدا فلاور كما تحب أن تدلع نفسها نسبة إلى دار فلاور التي أسستها بعدما تركت العمل عند أحمد بخيت في دار نشره دار كليم، أو طردها منها كما يزعم هو بعدما ضبطها متلبسة بسرقات ومخالفات مالية عدة.

طالت المكالمة الهاتفية بينهما، ورغم درامية الحدث لم يألُ الببلاوي جهدا في "مسخرة الوضع" وتمييعه كعادته، فهو إنما يرتدي قناع نجوم سينما ولا يستطيع أن يعيش شخصيته البئيسة للحظة. هكذا وباختصار شديد تنحصر كل المواضيع المصرية حول المال ولاشيء غير المال، وإذا أُحبكت حوله الدموع كانت الغاية شبه مضمونة خاصة مع شاعر مغربي "له قلب طيب وإحساس مرهف"، شاعر سريع التأثر والتعاطف مع مآسي الناس خاصة إذا كانت الضحية "أم عيال". لم يتورع أحمد الببلاوي في تصوير الوضع وكأنها دراما مصرية في مسلسل رمضاني يلهي الناس عن عباداتهم في ذلك الشهر الكريم، وكأنه كان عارفا سلفا بقصتها التي تقول هي نفسها أنها تفاجأت بمحضر الشرطة يومها فقط، وكيف أن صاحب الرتبة العسكرية العالية الذي يلازمها وكأنه زوجها لم يستطع أن ينفعها بشيء أو

يساعدها بعلاقاته. يبدو أن الأمر محسوم أو لعله محبك سلفا بشكل هوليودي، أو بالأحرى هوويدي!
طال البكاء وطالت المواساة والإقرار بقلة ذات اليد، من أين يستطيع أن يدبر لها مبلغ ٣٠٠٠ جنيه مصري في ساعته حتى يجنبها دخول السجن صباح اليوم التالي ويجنبها صبحا سيزين معصميها بكلبشات، معصماها اللذان لا تزينهما عادة إلا بعض الحلي "الفالصو" وساعة صينية الصنع، تشير الآن إلى حوالي منتصف الليل، ولا حلول تبدو تحت جنح هذا الظلام!

فجأة يناولني الهاتف، هويدا تريد أن تحدثني، كيف علمت أني بجانبه ولم ألحظ أنه قد أخبرها بتواجدي معه منذ بدأ حواره معها، هل أحست بذلك بحدسها الأنثوي الذي تراكم عليه غبار الاخشوشان فلم يعد أحد يميز بين أنوثتها وذكورة سلوكها في وسط هذه الغابة الكبيرة التي تسمى القاهرة؟

- أيوه يا احمد، أنا ف ورطة كبيرة، مصيبة مصيبة وحياتك، ضحكوا علي وودوني لمطبعة وهمية دفعت لها فلوس ولما جيت آخذ الكتب لقيتها شطبت، أنا حخش السجن بكرة لو مدفعتش قبل الساعة ١٠ مبلغ ٣٠٠٠ جنيه، واولادي حيتشردوا ويخشوا الاصلاحية، لو معاك وانا عارفه أنه معاك أنقذ حياتي أرجوك، أنا حخش السجن يا احمد...

لم أعد أفهم كلامها بعدما خالطه النحيب وغسله الدمع، ناولت الهاتف لأحمد البلاوي الذي هدّأ من روعها ببضع كلمات ووعدها خيرا ثم أقفل الخط. كان يرى أمامه أجنبيا قادما من أوروبا معتقدا أن محفظته هي محفظة صندوق النقد الدولي. بدأ الرسم بالكلمات على إيقاع النوم الذي بدأ يراود أجفاني، وعدته خيرا ثم اصطحبني إلى الميترو الذي اقتنيته حتى المعادي.

على غير عادتي ذلك اليوم، اضطرت إلى الاستيقاظ مبكرا مع صباح مطل على النيل من شرفة الدور السادس من برج روضة النيل مقر دار كليم بآخر المعادي. كان منظر النايل كونتري كثيرا ما يغريني بالجلوس على إحدى طاولاته وهو على بعد عشرات الأمتار من البرج فقط، غير أن فرصة دخوله للتمتع بجلسة أمام مهد الكليم لم تكن قد حانت بعد. هاتفتني تلك الأصبحية الجميلة بنبرة صوت أريحيتها تبدو أكثر بكثير من هيستيريتها التي كانت عليها في اليوم السابق، انتظرتها على العاشرة صباحا أمام النايل كونتري، استغربت لاختيارها نفس الساعة التي كان من المفروض أن تسدد المبلغ فيها وإلا سجنت! تأخرت ككل من حدد لي موعدا في مصر، لم تصل إلا حوالي الحادية عشر. اخترنا مكانا يمتعنا بخرير الماء المنسكب كالكيد المصري عبر التاريخ الفرعوني الطويل الذي لا يلتطم بضفة البرهان إلا قليلا ليعاود سيلانه إلى مصبه المجبول عليه بقدر. استعادت ثقتها بنفسها

وبشكل زائد هذه المرة، ارتشفنا كؤوس شاي الفتلة المشوب بحديث النجاح وعثراته الجارحة. ما إن انقضت على "الثلاث باكوهات" التي يحتوي كل "باكو" منها على ألف من الجنيهات حتى تغير لمعان عيونها وغيرت من شكل جلستها وموضوع حديثها، وكأنها صافرة حكم مباراة تعلن انتصار الريح المتدحرج داخل قطعة من الجلد نحو شباك المرمى.

أصبح الوقت ضيقا الآن، استأذنتني في العودة إلى بيتها أو هكذا قالت لتسلم المبلغ لمن كاد أن يبطش بها لولاي! لم تنس قبل ذلك أن تحدثني عن أبنائها الذين أبعدتُ عنهم شبح الضياع والتشرد بفضل ما أسديتُ لها من معروف خاصة وأن أباهم قد أهملها منذ زمن. كانت كلمة معروف تخيفني فنبهتها إلى أن المبلغ عبارة عن قرض إلى حين ميسرة وليس منحة أو كرما حاتميا باعتبار أن ظروفي المادية أيضا ليست بالشكل الذي تتصوره أو تتخيله، هزت رأسها مبتسمة وهي تهم بالذهاب في عجل:" أيوه يا احمد أيوه، إطمْن ". دفعتُ حساب المشروبات، ودعتني وانصرفت بعدما شكرتني وكأن ذبابة لسعتها!

"إطمْن"، لم تكن كلمة تخيفنني وتقلقني بمصر مثل كلمة "إطمن"، فما قالها لي أحدهم إلا وصعقت بخيبة أمل كبيرة فيه، خيبة أمل موسى في بني إسرائيل وقد جاوز بهم البحر ليتفاجأ بالعبودية التي صاغوها ذهبا خالصا واتخذوها عجلا يعبدونه من دون الله. كذلك

تفاجأت كثيرا بشي سياط فرعون وهامان على ظهور كثير من المصريين وقد صاغوا من صداها على ظهورهم وسام ذل أبدي، يجعل كل قيمة إنسانية وقيمة روحية أخلاقية في مهب المال، ومهب دراهم معدودة بيد إخوة يوسف. كانت تدرك جيدا تقلص حبات الرمل في ساعتي الرملية التي قد أوقد عليها هامان مبتلة ناره ليبني بها صرح فرعون، فكانت تكيل لي الوعد بعد الوعد. أصبحت أحس بأنه شراك آخر قد نصب لي لابتزازي وأنا "المغربي الغبي بامتياز"، السهل اصطياده من طرف من جبلت أنفسهم على الشر! وعدتني بسداد المبلغ كل مرة وبتقسيط تدفعه بانتظام لأحمد البلاوي حتى يضيفه إلى ما وعدني بتحقيقه لإطلاق مؤسستنا الإعلامية بالقاهرة، غير أنه ظل ينكر تسلمه أي "مليم" منها قبل أن يحظرني على الفايسبوك والياهو وينضم إلى صديقه في المواطنة والنصب أحمد بخيت.

فجرت وكالة أنباء الشعر قضيتي مع الشاعر أحمد بخيت، اكتشفتُ أن عقد النشر الذي عقدته مع دار كليم لم يوقع أبدا من طرف "صاحب الدار ورئيس مجلس إدارتها" ولا من طرف أمين الصندوق حينها هويدا عبد الواحد حسين "هي". وجدتني في موقف لا أُحسد عليها، فمبلغ الإيصال الذي لم يكتب عليه إلا جزء من المبلغ "٥٠٠ يورو" بدل "١٢٠٠ يورو" الغير ممضي أصلا من أي طرف، قد يعرضني لما لا تحمد عقباه إذا أنكره الشاعر أحمد بخيت فأجدني ليس

فقط قد خسرت كل دليل يثبت حقي عليه بل ويعرضني أيضا للمساءلة القانونية بسبب التشهير الكاذب في حق "شاعر معروف"، ولعلها تكون أول تهمة تنتظرني حيث أورد بنفسه: "حب الشهرة وبأي طريقة كانت ولو باتهام (الشرفاء) في مكانتهم الأدبية لدى العامة والخاصة"!

اتصلت مستبشرا بهويدا وقد ذكرتها بكل خير في روايتي الأولى "في شراك أحمد بخيت" وتحمست بكل حسن نية للدفاع عنها في قضية "الخليجي فارس العنزي"، وتوقعت منها أن تقابل معروفي تجاهها بمعروف مثله وبإحساني إليها بإحسان يضاهيه أو يفوقه، لأصطدم بصخرة نسوة المدينة اللائي لا يمكن أن يكن إلا في صف امرأة العزيز: "أنا كنت موظفة بس"، "أنا مليش دعوة بالموضوع"، "هو أحمد لسه مرجعلكش فلوسك"، "أحمد البلاوي أخذ المبلغ كله مني"، "أنا لا شفت ولا أعرف حاجة"، "ياما نصحتك يا احمد"، "أنا لا شفت اتفاق على الشراكة ولا غيره، ولو تفتكر البنت اللي اسمها مها هي اللي كانت بتشتغل معاه"، "ده جزائي يا احمد وانت عارف أني ياما ساعدتك ووقفت جنبك !!!"... سمعت كل كلام غير كلام شاف يذكرني بأني ما زلت في كامل قواي العقلية وأني لم أصل بعد مرحلة "الزهايمر"، فقد يكون كل هؤلاء على حق وأنا وحدي المذنب! ولربما ساعدني كل أهل مصر وأحسنوا إلي ووحدي أنا من لم يتحرك

قلبه لأي منهم، لا شاعرا مغرورا ولا إعلاميا فاشلا، ولا ناشطة ثقافية تقتات على فضلات الكتب سلكت طريق النشر من خلال دار "هويدا فلاور للنشر والتوزيع" في سرعة قياسية وهي حتى الأمس القريب كانت مجرد سكرتيرة في مكتب أحمد بخيت، والتي لو خصصت لكل كتاب كان من المفترض أن تخرجه للنور رواية تحكي كيف أخلصت لمعلمها الأول "أحمد بخيت" في ما تشربت عنه من أساليب نصب واحتيال ولف ودوران، لما كفتني عنها المجلدات والمجلدات، لكن قد يكتبها من تعامل معها بنفسه يوما ما!

- ٦ -

تهمُّ بالنزول من عربية المواصلات عند محطة "الطوابق" بشارع فيصل، فتتعمد أن تثير كل من بداخل السيارة من الركاب البسطاء بحركات جسمها الثخين المتمايلة، كل مرة تتعمد استفزاز العيون نحوها رغم أنها تدرك أنها ليست تقوم بصفقة رابحة، فمعظم من توقع بهم في شراكها على مثل هذه المواصلات هم من عامة الناس الذين يكافحون من أجل لقمة العيش أو الطلبة ولربما كان من بينهم موظفون صغار، فلا يستطيعون أن يضمنوا لها "نفخ محفظتها" كأولائك الزبائن الذين يختارهم لها "زوجها" عادة بعد تفكير وتدبير

وانتقاء من خلال علاقات عمله، والذين يكون أغلبهم من دول غنية قريبة أو عرب مقيمون بالخارج. تدرك جيدا أنها لن تحظى بصيد ثمين لكنها قد تصادف "محروما" يكتم صراخ جسدها في "بدروم عفن" أو "أوضة" حارس عمارة، أو حتى على مقعد خلفي داخل سيارة مواصلات متهلهلة على إحدى ضفاف النيل أو تحت كوبري معين، أو مستندة على إحدى أحجار الهرم العتيق!

ولأن أحدا لم يعرها انتباهه هذه المرة، تتحكك متعمدة بقوة بذلك الصعيدي الغافي الذي يجلس عند المقعد الذي يلي الباب، يتفاجأ باصطكاك عظام كتفه لهول ما التطم به من شحم ولحم، تلتفت نحوه رافعة صوتها وموجهة كلامها للجميع:

- إيه ده، ناس ما بقاش عندها أخلاق، تتحرشوا بالستات المحترمين وانتو شيب على وش قبر، صحيح اللي اختشوا ماتوا. إيه، عمركم ما شفتو ستات ولا إيه، إخصى عليكم ناس ما عندهاش قيم !!!

تركت الرجل مشدوها وقد لُجم لسانه من البلاء الذي نزل عليه فجأة دون سابق إنذار ودون ذنب له ولا نية مبيتة له في اقترافه، صفعت السيارة ببابها بعنف ثم اتجهت شمالا بين الأزقة الملتوية تجاه منطقة المدارس، تلف ناحية اليمين حيث منزل أبيها، عند الباب الملاصق لمحل السباك تجد "الحاج" جالسا على مقعده الحديدي مسندا ظهره

لواجهة بيته التي لم يكتمل تلبيسها بعد، وعيناه على كل "موّزة " تمر من أمامه، لا فرق بين صبية أو عجوز، "كله جايز فيه السلام والبصبصة"، وربما انتهى بموعد وتعارف بين عمارتين، أو حتى في الترب التي يواظب على زيارتها كل جمعة، وهو من يقول عنها دائما أنها تذكّره بالآخرة وبالمؤخرة !!!

- حمد الله على السلامة، إيه الغيبة الطويلة دي، يعني لازم نكلموك في التليفون وناخذ لينا معاد مع معاليك عشان ترضي تشرفينا ف فيصل، إنت بقيتي تستعري مننا ولا إيه، دنيا بقت غريبة، تربية آخر زمن.

- لا والله يا بابا، ما انت عارف ظروفي وظروف أحمد، الشغل واخد مننا كل وقتنا، ويادوب بنلحق.

- الشغل، شغل إيه يا أم شغل انتي، ولا لساتك في نفس الكار إنت وشيخ المنظر بتاعك، كان يوم إسود يوم ما تجوزتيه ودخلتيه بيتنا.

- مالك يابا في إيه؟ (يزعق أيمن من بلكونة الدور الثالث) بعدما وصل صوت أبيه الغاضب الذي أثار كل سكان الحي بحدة)، آآآآه هو انتي، يا ألف مرحب.

- أهلا يا خويا، شكلك اتضايقت لما شفتني زي عوايدك.

- أتضايق، واتضايق ليه، إنتي مش جيبتي معاك المعلوم؟

- آه المعلوم، أيوة معايا، إياك تبعزقو على الصنف بتاعك زي كل مرة، أنا غلبت معاكم، أجيب لكم منين بس، دي عيشة بقت تزهق، والشغل مبقاش يجيب همه.

- تجيبي منين، والشغل مش جايب همه! ربنا يخلي لك راس مالك يا بنت امي وبويا هههههه، ماهو لو العالم كله فلس زي مبيقولوا في بلاد برة، شركتك إنتي عمرها ما حتقفل، حتشتغل على طول هههههه!

- إخص على دي اخوات، ولا معبر حتى بوك اللي عمال يسمع في كلامك الزفر.

- هو ملقح عندك تحت؟

- يا واد عيب، إيه الكلام اللي بتقولوا ده عن أبوك؟

- طب اطلعي بسرعة عند أمك، وخليه يكمل شغله هو كمان هههه... ولا أقولك خليه يكمل تسبيحه للطالعة والنازلة!

- أووووف منك إنت بقى في اليوم المهبب ده.

تدفع دفة الباب الحديدي اليمنى وتبدأ في صعود السلم الإسمنتي بين ركام الأحذية التي تضطر إلى إزاحتها كل مرة بقدميها لتمر وكأنها على باب مسجد، وتمرر جثتها بين أكياس الرز والمعجنات وعناقيد البصل المعلقة على جداريّ السلم كأنها دالية كروم.

تصل بعد عناء إلى الدور الأول، تدفع الباب كطفلة مشاكسة وتسلم على والدتها التي تشفق عليها بنظراتها الطيبة الحنون، والتي لم تفهم يوما سبب تقلبها المفاجئ من حال إلى حال. كانت دائما تحدث نفسها أن لأمها عينين قد نسجتا من جلد حرباء، يتغير ليس لونهما فقط ولكن حدة نظراتهما أيضا بشكل سريع ومستمر، حتى أنها لم تعد تدرك مزاجيتهما المتقلّبة. كثيرا ما تقول لأمها ساخرة أنها لابد أن تشارك في مسابقة جينيس للأرقام القياسية لأنها ستحطم الرقم في توتر المزاج وتوتيره.

- إيه مالك يا شيرين يا بنتي، مالك يا ضنايا؟

- مالي؟ (تجيب بعصبية)، يعني مش عارفة مالي؟ أنا تملي بقول آمين ليكم كلكم وأولكم سبع البرومبا جوزي، وباسمع الكلام، وقاعدة وصابرة مع واحد منتهية صلاحيته من زمان! وبأمن مستقبلكم ومستقبل ولادي من الشغل الهباب اللي بيجيبهولي، وفوق كل ده كله بيشخط فيا ويزعق ويطلب يطلب يطلب كمان وكمان، هو أنا

مستهلشي منكم شوية احترام وتقدير ع التضحية والمجهود اللي بعملهم ولا إيه؟

- يا بنتي اصبري بس، ده ربنا بيحب اللي بيصبر، ولو انو يعني إنت فاهمة الوضع كويس مع اخواتك، لكن أنا بكلمهم كل يوم عشان يخفوا عليك شويه، إنت بس راضيهم يا حبة عيني كل مرة بقرشين، وهما حيسيبوكي فحالك تشوفي حياتك وتعيشي بقى.

- وهو انا مقصرة مع حد فيكم، ده نبيييييل صياد الأفاعي واتلهى عني، يعني ينفع أيمن كل مرة يبهدلني قدام أبويا وفين؟ في الشارع قدام اللي يسوى واللي ما يسواش، هو يعني أنا لوحدي اللي غلبت واتنيلت واتجوزت واحد منظر، ماهي...

- بلاش نجيب فسيرة الناس دي الوقت، ده حتى حرام يا بنتي، خلينا ف حالنا، ولا اقولك قومي إقري شوية قرآن لحد ما ربنا يهدي سرك.

- أقوم أريح لي نص ساعة أحسن لي، إنت مش سامعه أيمن مبيوقفش إذاعة القرآن في بيته ليل ونهار حتى وهو بيتخانق مع الجيران؟

- طيب يا بنتي، إلاّ.. ما لاقيش معاك يعني شوية...

- ماهو لازم إنتي كمان يا ماما ، أووووف خذي آهي مييييت جنيه بحالهم، وسيبيني أتخمد بقى، أنا تعبانه ياعالم أنا حطق يااهو.

- نوم العوافي يا بنتي نوم العوافي.

-٧-

يقف متهللا وجهه لقدومي ككل مرة أقابله بالمكان الغير بعيد عن كوبري غمرة، لم يعد ينتظرني كعادته عند أسفل سالالم الميترو التي لا تبعد إلا بعض مئات من الأمتار عن موعد اللقاء الذي تعودنا عليه وعلى كبيات شايه الفتلة الذي نجرعه كما نجرع الساعات الطوال التي بدأ يلوح ظلام نفقها تماما كما يلوح ظلام النفق الذي نمر تحته كل مرة للوصول إلى الجهة الأخرى التي توجد بها كراسي منثورة عند أسفل حافة طريق سيار تسمى "قهوة"، وتفوح منها رائحة الخديعة

والنصب كما تفوح منه تلك الروائح الكريهة ورائحة البول البشري الذي امتزج ببول كلاب الحارة. لم يعد يفحمني بتنظيراته الحالمة ووعوده الإعلامية بعد الثلاث حلقات التي أجراها معي على قناة الصحة والجمال وقبلها قناة الهلال، أصبح الآن يستميت في تصنع الفقر الذي هو كل ما طاله من ثورة صبت وابل سوءاتها على ظروفه التي لم تكن أحسن قبلها، إنما زادت طينه بلة.

- أنا مش غني قوي لكن بيتي حقيقي أنه متواضع، لكن القعدة فيه حتكلفنا أقل.

- وهل قصرت أنا في ضيافتك التي كان من المفترض أن تكون من جانك، وأنت صاحب البلد وليس أنا هههه (أجبته مازحا).

- لا والله أبدا، إيه؟ هو انت فاكرني بخيل يعني، هو بس يعني، كل مرة القعدة هنا بتكلف فلوس ومصاريف، وانت عارف البير وغطاه بقى يا احمد.

- وهو حد قال لك إدفع حاجة من جيبك؟ يا سيدي إحمد ربك على نعمه وخيره.

- أنا بقيت بتضايق من القعاد هنا والله، ولو ترضى بخوك المصري الغلبان، تتفضل معايا ع البيت، واهو حنبقى على راحتنا فيه.

- وانا لو رضيت بخوك المغربي الفقير إلى الله، أتشرف بيك وببيتك طبعا.

كم كنت متعبا ذلك اليوم الذي كلمني فيه على الهاتف طالبا مني إقراضه مبلغ "٥٠٠ جنيه مصري"، كنت قد استلقيت على فراشي بغرفة ما كان من المفترض مكتبي بالمعادي وإحساس ثقيل بالكسل قد انتابني، لم أكن أشعر إلا بالرغبة القوية في النوم بعد أن قضيت نهاية أسبوع متعبة بعد رحلة الإسكندرية مع أحمد بخيت وممثلة الرابطة في فرنسا "ش.س" وحلقتي المباشرة على قناة الصحة والجمال بمدينة الإعلام. غير أن البلاوي أصر على حاجته الشديدة والملحة إلى مبلغ مالي طلب مني أن أحضره إليه بنفسي حتى حارة إقامته. كنت قد سلمت إليه قبلها مبلغا ليس بالهين غير أنه كاد أن يتباكى علي بالهاتف.

أحسست بالحرج وأدركت أنه فعلا في مأزق أو ربما ورطة مع كثرة الحاقدين على "نجاحه"، كانت مأساة وصولي إلى حي الظاهر هي ما يؤرقني دائما بمدينة القاهرة المكتظة بالسكان الشديدة التنقل بواسطة المواصلات. أزمة سيارات الأجرة التي تضطر لانتظارها أمام النيل كونتري كلوب، أو عربيات "المواصلات" التي يستحيل أن تجد لك مكانا فيها أمام كل الواقفين المنتظرين لحظ يوصلهم إلى وجهة ولو أبعد بقليل، الميترو البعيد عن مكان إقامتي والذي يتطلب الوصول

إليه أن تستقل "تكتكا" يعتقد سائقه أنه "شوماكار" فيجوب بك الأزقة بسرعة قياسية رافعا صوت مذياعه إلى أقصاه، تحسب معها أن طبلتا أذنيك ستنخلعان من مكانهما، فإذا وصلت إلى الميترو فعليك أن تتدافع وكأنك في بناية مجمع التحرير، التي فهمت أخيرا "دعاء أحمد بخيت" لي الذي مرره بابتسامة ساخرة، حين علم أني سأتجه إليها لتمديد إقامتي بمصر لشهرين إضافيين خلال آخر زيارة لي إلى مصر!

توقفت بي سيارة المواصلات أمام جامعة القاهرة هذه المرة، عبرتها إلى بوابتها الأخرى لعلي أمتع نظري بهندستها وبناياتها وقد سمعت عنها الكثير الكثير، وجدتها جامعة عادية جدا! خرجت من بوابتها الرئيسية وركبت حافلة متجهة إلى أقرب نقطة من حي الظاهر، ما إن توقفت بي وهممت بالنزول حتى تحركت بي لأجدني في رمشة عين ممددا على جنبي الأيمن وسط الطريق العام وسيارة أجرة في وجهي تكاد أن تلتهمني بصدمة وشيكة، لم تعد تفصلني عنها إلا ثلاثة أو أربعة ميترات لتدهسني بسرعتها الجنونية، دحرجت نفسي بأقسى سرعة نحو الرصيف المقابل لمحل عصير قصب وصرخة أحدهم ما زالت تتردد في أذني: "يا لهوووووووي!".

كان كأس من عصير القصب أبو الجنيه اليتيم كافيا لاسترجاع هدوئي وإعادة ترتيب أنفاسي داخل صدري، نفضت عن ملابسي غبار أثر

الصدمة، وكتمت ألمي وتابعت سيري إلى بيت "الشاعر الإعلامي أحمد الببلاوي".

انطلقت معه عبر أزقة ملتوية نحو وجهتنا/ بيته، استغل حضور شيرين للترحاب بي وانطلق ليغير ثيابه، كان هندامها خفيفا جدا مما جعلني أتقهقر لا شعوريا نحو الباب، أحس أحمد الببلاوي بارتباكي فأشار عليها بالتواري وستر ما يبدو أنها تعمدت كشفه لضيفها. لم أشمئز من قلة أدبها مع ضيف غريب لا يحل لها بل كان اشمئزازي الأكبر من زوجها الذي لم تتحرك غيرته على زوجته ولا لحمها المنثور على طبق الغواية والإغراء إلا حين أحس بدهشتي من المنظر المخل بكل حياء، ومما انتابني من إحساس عن اعتقاده بأن كل من قطن أوروبا وتعود على عاداتها وحضارتها قد خبت به نخوته العربية والإسلامية وأصبح قابلا لكل خلاعة وعري!

عاد وقد ارتدى هندامًا من النوع الذي استطاع أن يدفع ثمنه هذه المرة أو ربما نسيه أو استغنى عنه أحد رواد بيته "الفحول" كما بدأ يتأكد لي عيانا بنفسي، أو حصل عليه استجداء لأحد معارفه أو جيرانه أو ممن استضافهم ببرنامجه التليفيزيوني غير المدفوع الأجر. لم يتورع عن إبراز ابتسامته البلهاء وأنا أخبره بما حدث لي في سبيل الوصول إليه في يومي ذاك.

كدتُ أن أصرخ في وجه طبعه القبيح المقزز وهو يسألني عن المبلغ إن كنتُ قد أحضرته، وكأن كل ما يعنيه هو المال لا غير. سحبت الوريقات الخمس من صنف المائة جنيه لكل منها وألقيتها في وجهه، اعتبرتها هذه المرة صدقة لا أنتظر سدادها لأني رأيته فعلا مسكينا معدما لا إنسانية له ولا خُلقا، يستحق كل شفقة وإحسان. لم تتأخر شيرين زوجته في إحضار كأس قهوة أرغمت نفسي على شربها لطعمها الذي يشبه الماء، كم وددت لو أنها قدمت لي شايا ساعتها فالشاي على الأقل تحس له بمذاق أو شبه مذاق.

تجاهلتُ نظراته المريبة التي يتبادلها بيني وبين زوجته، لم يكن يبين ساعتها قصده بعد، ولم أكن أحاول أن أفهم شيئا منها وأنا ما زلت تحت وقع الصدمة بل الصدمات التي تلاحقت علي في يومي ذاك، فأنا في بيت صديقي "المصري" الذي أحاول أن أدعمه بكل طاقتي وإمكانياتي حتى نبني مستقبلنا الإعلامي الواعد في بلد موسى وهارون. لم أكن أحاول أن أقرأ ملامح وعيون أهل هذا البيت إلا بما تشربته في بلد يوسف بن تاشفين وسط أهلي وأسرتي من حسن خلق وصفاء نية وجليل احترام لخصوصية من فتح لي بيته وقدم لي طعاما، وإن لم يتعدّ ما تناولته فيه مجرد مشروبات! كسرت الصمت بردي على تحية ذلك الشاب الذي يصل إلى قامة البلاوي والذي لا يشبهه أبدا لا في الخلق ولا في لون البشرة. انسحبت شيرين إلى

المطبخ بعد أن قدمت إلي بكرها حسين دون أن تنسى أن تذكرني بأسماء بقية العناقيد التي جاد بهم بطنها: إسلام ونور وكأن لم تلد "أنثى" سواها على هذه البسيطة، لنعاود حديثنا المرتهل الذي ازين لكنه لم يخصب بعد.

حسين، إسلام، نور، ما شاء الله على هذه الأسماء العربية التي تشع إيمانا واعتزازا وانتماء لعقيدة إسلامية سمحة، وأحمد أيضا! ترى كيف أصبحت مجرد هويات فارغة من كل معنى، معلقة على جدران بيت دعارة مصري؟

هل كان من سلالة عزيز مصر، هل أكل في فخار صنع من طينها، هل غسل رأسه بتربتها، هل كان أصله من إقليم قطفير الذي عرف تاريخيا بديوثية رجاله وعدم غيرتهم على نسائهم؟؟ أسئلة لم تخطر لي على بال حين تعرفت عليه لأول مرة حين اتجهتُ إلى مدينة الإعلام بناء على طلبه، ليجري معي حوارا على قناة الهلال التي كان يعمل بها آنذاك.

كان شخصية تبدو عليها ملامح العظمة والعنفوان لأول وهلة، اكتشفتُ أنها كانت مجرد طلاء وزينة يخفيان خلفهما قسمات عجوز، قسمات الكبر والحقد على كل ما لم يستطع تحقيقه خلال حياته البئيسة التعيسة التي ولت مع الفول والطعمية، والتي يصبح فيها الكشري أشهى وجبة يتذوقها حين تسمح ظروفه المادية المتعسرة دوما رغم المبالغ المالية التي ينجح في الحصول عليها بواسطة التحايل على معظم من استضافهم في برنامجه نجوم الأدب، وقد كنتُ أحد ضحاياه، ليس استغباء مني بل لأني وثقت بمقدم البرامج أحمد البيلاوي واعتقدت لوهلة أنه شاعر أو على الأقل إنسان!

مشاريع مشاريع وأحلام وأحلام، بدأ بنسج كلامه المعسول من حولي كخيوط عنكبوت ما فطرت إلا على ذلك، كنت حتى قبيل وهلة

أعتقد أني قد وجدت أخيرا أخا في مصر لم تلده لي أمي، وأهلا في المشرق الذي أحببته وتمنيت زيارته حتى حقق الله أمنيتي فكانت بوابته مصر، مصر ما بعد ثورة ٢٥ يناير، أو هكذا اصطلح عليها حين قامت!

ضاقت بي القاهرة وقد أوصد الشاعر والناشر أحمد بخيت كل أبواب الأمل في وجهي بعدما طردني من مكتبي الذي كلفني قوت أبنائي وبعدي عنهم لمدة طويلة، وصعقني بكبره الذي ما توقعته من شاعر في مكانته. كجريح يحاول استنقاذ نفسه من حريق الضمائر المنتنة، تلقفني أحمد البيلاوي بالمواساة بعدما كان قد أمطرني بتحذيرات قبلها من مغبة السقوط في مستنقع الشاعر النصاب. كان يرى أنه لابد لي أن أشق طريقي في مجال الإعلام فهو وحده الكفيل بإيصال صوتي وشعري إلى العالم، لم تكن نبرة صوته توحي إلا بالاطمئنان والارتياح إليه، فانكببنا على تأسيس "جريدة نجوم الإبداع" كانطلاقة مبدئية لترسيخ خطانا في طريق جديد وواعد.

انطلقت نجوم الإبداع إليكترونيا، لكن ثمن انطلاقتها كان باهظا، فقد استنزف مني أحمد البيلاوي وزوجته شيرين منصور لتحقيقها مبالغ طائلة لم يكن ليصدقها لا عقل ولا منطق، غير أن حلم تحقيق كيان

ثقافي كان يعمي حذري عن النبش في نوايا الأشخاص أو في ضمائرهم التي تبين أنها جد قذرة وجد عفنة.

كان جو العائلة المصرية (المحتضِنة) من الأب (والد شيرين) حتى الأبناء (حسين وإسلام ونور) لا يمكن إلا أن يوحي للنفس تجاههم إلا بما أوحي لها من طرف أحمد البيلاوي، رغم ذلك القلق الداخلي الذي يطفح أحيانا ليدق ناقوس الحيطة من مجموع تصرفات بدرت منه ومن شيرين، كنت أمررها بحسن نية رغم استغرابي الكبير منها، بريق ولمعان عيونهما كلما رأيا ورقة مالية أو حتى قطعة نقدية. كان هذا الضعف الشديد أمام كل ما هو "بنزين" كما يسميه البيلاوي هو ما يثير شكوكي منذ البداية حولهم، لكنه ما كان ليمنعني من الوفاء بكل تعهداتي المالية تجاههم. كان أحمد البيلاوي متحمسا جدا لمشروع مؤسستنا الإعلامية، والتي كان يبدو تحقيقها في متناول أيدينا أو يكاد.

التجارة ربح وخسارة، تلك هي المعادلة الوحيدة أو الخيار الأوحد الذي كان أمامنا، غير أن انعدام فكرة الربح أصلا من المشروع الفكري الثقافي كان يطمئنني إلى نجاحه، فكل ما كنت أصبو إليه من المؤسسة الإعلامية التي كانت عتبتها الأولى جريدة، هو تحقيق ربح معنوي لا غير يتمثل في خدمة الأدب والإبداع العربي عموما. ما لم أكن أتوقعه بالعكس هو الخيانة، لأن خيانة أحمد البيلاوي وسطوه

على المبالغ التي قدمتها له لتحقيق المشروع، واستغلالها وإنفاقها على مسائل شخصية كالعملية التي أجراها لأذن زوجته وشريكة حياته ونصبه، كان هو الغير منتظر فعلا من شخص يفترض أنه شاعر وحساس وذو مبادئ، وقد أحسن تمثيل دور من يمتلكها بمهارة، ولا أدل على ذلك سمته خلال حوارتي الثلاث معه على قناتي الهلال، والصحة والجمال.

لم أعد أستوعب لا نفسي ولا كل هذه الوجوه التي تحملق في وكأني يوسف في سوق نخاستهم، لم أستطع أن أرد على دونية الضمائر التي سلخها الفقر من كل شعرة قد تشد ولو بقية ذماء كرامة فيها إلى قبس من نور تائه بين ركام بؤسهم، بؤساء فعلا. آه فونتين لم تبيعي لحمك لإطعام فلذة كبدك كوزيت إلا بعد أن بعت خصلات شعرك وأسنانك البيضاء، لم ما زالت تسدل شيرين شعرها الأجعد الشائب على كتفيها وتخرج من خيبتها ريحا نتنة تنفثها بين ثناياها الاصطناعية بسمة!

- أظن يا صديقي أنك لم تفهم اختلاف رؤيتنا للمشهد، ما يربطني بك هو محبة لوجه الله وحلم تقاسمناه وأردت أن أحققه معك، أما غير ذلك فمجرد تهيؤات تظنها لا غير. لاتنس أني مسلم وما تحاول أن تجرني إليه أنت وشيرين شيء لا يصدق لذلك سأعتبر نفسي لم أر ولم أسمع ولم أع شيئا، ولا أظنني أستطيع زيارتك بعد الآن في

بيتك، لتكن مواعيدنا القادمة خارجا من فضلك، وإن وجدت نفسك غير قادر على إكمال مشروعنا، يمكننا أن نتوقف عند هذا الحد.

- لا، مشروع إيه ده اللي نوقفو، إحنا لازم نكمل، ورانا أحلام كثيرة لازم نحققها. كمان لو إنت لو عايز فلوسك أنا ممعييش والله.

- والحل.

- الحل أنك تاخذها بشكل ثاني.

- وما هو؟

- أحسستُ بالقيء من كلام من اعتبرته يوما صديقي، ورجلا مصريا صعيديا يغار على بيته وأهله ووطنه، واحتقرت زوجته/جاريته التي رضيت ببيع نفسها في سوق نخاسة مخصيها. دفعت الطاولة الخشبية أمامي بقدمي قد تحطمت قوائمها وسقط زجاجها، ثم خرجت من الشقة رقم ١٢ بشارع السكاكيني بالظاهر، محتقرا نفسي التي سوومت تحت سماء قاهرة المعز، لكن مسليا إياها بأنها نفس السماء التي راودت تحتها امرأة العزيز يوسف عليه السلام، ما أشبه بعض نساء مصر اليوم بامرأة العزيز، وما أهون على من خان بلده أن يخون غريبا حل بها، ويسترخص عرضه ولحم زوجته مقابل جنيهات معدودة!

تركت البيت وصدى عرضه مازال يتردد في أذني.

حاولت أن أتناسى عرضه وهاهو ذا يكرره بكل وقاحة مرة أخرى، لم أكن أستطيع أن أعتبره مزاحا لأنه لا أحد يرضى لنفسه موقفا كذلك الموقف لا جدا ولا هزلا، لكنه موقف جعلني ألعنه وألعن زوجته التي كانت تجالسنا وهو يتفوه بديوثيته:

زوجتي شيرين"، سألته ما بها؟ تلعثم مبتسما ابتسامة غريبة بعض الشيء وأردف: "مقابل المال المستحق علّي، ولك أن تتمتع بها المدة التي تشاء وكل مرة تزور فيها مصر، على أن يبقى الأمر سرا بيننا أرجوك، حتى تكتفي منها وتقدر أنك استرجعت حقك كاملا، وعلى كل حال ستبقى تحت أمرك، يا سيدي حتبقى خدامتك وملك يمينك"!!

وحده العرض كلما اضطررته إلى الركن الذي سيلقي به في قبضة العدالة مع زوجته شريكته في كل جرائمه، وحده العرض لتسوية الوضع (وديا)، لأنه من جهة لا يملك غيره كما يحاول أن يقنعني، ولأنه (مش لاقي ياكل) فكيف يسدد مبلغ ٥٥٠٠ يورو!!

كنت قد سمعت العجيب والغريب من القصص المصرية التي تدور بطولاتها حول فضائح أسرية، خيانات أو ديوثية في معظمها، فضائح

مخلة بالأخلاق يمتهن فيها أحد الزوجين يكون في معظم الأحيان الذكر الذي يفضل بيع لحم أنثاه سواء لأنه عاجز جسمانيا أمامها أو لعدم قدرته على كفالتها وربما كفالة أبنائه أيضا كما هو الحال بالنسبة لأحمد البيلاوي، فيستسهل ما سنه عزيز مصر لمن مشى على أثره. يحسن تصيد ضحيته/ فريسته، فيكون عادة شاعرا أو كاتبا أو مبدعا أو فنانا، مثقفا يستدرجه إلى مصر عبر وعود يقدمها له بتقديمه للوسط الثقافي المصري والترويج له والتعريف به، فإذا تبينت أركان محفظته المليئة بالدولارات أو اليوروهات لم يتورع في طرح ديوثيته بابتسامة صعيدية نجسة: "زوجتي مقابل ما تمنحه لي من عطاء"!

لم أكن أعلم أن وجبات الدجاج "الفراخ" كما يسمونها والتي كنت أدعوهما إليها باستمرار وقد قتلني الجوع في ضيافتهما حتى اضطررت إلى تحمل نفقات أكلي وأكلهما كلما أحرجني واصطحبها معه على غير اتفاق بيننا، ستسيل لعابهما أكثر مما أسالته وهم يلتهمونه بشره، لم أكن أعلم أن زوجة البيلاوي لما كانت تصرخ : "لحمه لحمه" كل مرة نمر فيها من أمام محل لبيعها، إنما تقصد كل أنواع اللحوم المعروضة مقابل ثمن وليس فقط لحم "الفراخ!".

كان لا بد أن أدون فيها شيئا من الشعر فكانت هذه النتفة:

هي امرأة..

كما امرأة العزيز

غوتْ غواية سحر

فما ظفرت سوى

بالنفس قد أنفت بغية مصر

بنورك يوسف أطعمت

هذا القلب قطعة طهر !

- ٩ -

لم يتقد محمد البوعزيزي فقط نارا وقد رفضت سلطات محافظته قبول شكواه بعد أن صفعته شرطية وصادرت عربة خضاره وفواكهه التي يقتات منها ويعول عائلته وهو الحامل لشهادة عليا، بل أضرم مفاصل الظلم في كل العالم العربي الذي اهتز لانتقال الشرارة إليه. تزلزل هرم خوفو من هول الصدمة وأبرز أبو الهول أنيابه وهو الباسط ذراعيه منذ زمن لسوط الفرعون الممتطي الطين المتقد أيضا بلهيب لكن غير لهيب البوعزيزي، لهيب هامان الذي أراد فرعون أن يمتطي دخانه ليطلع إلى إله موسى. تبدد الدخان وتبدد فرعون ليجد نفسه في خبر شباب ثورة ٢٥ يناير. فلقت لهم الحرية بحر الظلمات ولو إلى حين تيه

جديد، وفلق الجشع والفقر لغيرهم جيوب من توافد على القاهرة يحدو للثورة أغنية زمت في فمه عشق وطن ابتلعه الصمت لعقود. أولئك الذين أحسنوا نصب شراكهم لاستقبال العرب الوافدين "المخدوعين" ببهرجة ثورة لم تتجه بمهد حريتها الوليدة عبر وادي الشهداء إلا نحو عتبات فرعون جديد، التقمته جواريه من الممثلات والراقصات والسالوميات وسلمنه له قربانا لبزته العسكرية الجديدة.

بدء على عود إذن بل عود القهقرى مسافات ظلامية بعيدة في منحدر فصل لم تورق أزهاره كما هيئ لنا. ما كان محمد البوعزيزي إذن إلا رجلا متهورا يائسا، عمد إلى قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق! لو تأمل الشباب المندفع حالته بشيء من البصيرة لما أنزلوه المنزلة التي لا يستحقها معتبرين إياه شرارة تغيير منظومة حكم فاسد كما صنفوها من خلال معاييرهم الفاسدة بدورها، بل كانوا اعتبروه منهزما نفسيا جاحدا لنعمة ربه التي بثها فيه وهي الروح الطيبة. فإن أقدم على قتلها فما يمكن إنزاله إلا ما أنزل الشرع مثله في مثل حالته. هو تماما ككريستوف كولومبس، مات وهو يعتقد أنه قد وصل إلى الهند، فلماذا ننسب إليه حتى الآن اكتشاف قارة تحكمنا جميعا؟

اشرأبت أعناق الكبر المشرقي إلى حبر الفكر المغربي الفائح حبا وإجلالا لشعب من شيمه أن حبه لصيق بقلبه، وطئت قدماه آثار الرمل فوجد أن معظم قلوب بنيه من طبقة الشعراء والمبدعين

والإعلاميين قد خربت وانكفأ رصيدها وأفلست ضمائرها، وابتلاها الله بالشره حتى لزمت الفقر شعارا وطنيا توجبت خيانته مع أول "يورو" يفد عليها!

كان حي الزاوية الحمراء وردة استنشقت عبقها في زحمة صحراء القاهرة، واحة تمتعت ببعض ظلها بعد هجير غربة سرداب المعز. حينما حملني صوت من الطرف الآخر من الهاتف منها إلى مدينة الإعلام، لم أكن أدرك بعدُ يومها أنه ما جاء بي إلى "بلاتوه" البرنامج إلا ليقدم "تجربة مغربية مهجرية متواضعة". كم ظن أحمد البيلاوي نفسه فارس شعر وكلمة، ولكم حاول إحراج من حاورهم في برنامجه المتواضع أو أحرجهم لأنه كان دائما يحسن اختيار ضحاياه سواء من ناحية المستوى الذي لا يجب أن يعييه إلا ما ندر، أو من ناحية الجيوب المليئة بما يسد رمق طمعه وولهه بكل ما هو بانكنوت، واصطياد فحولة يسكت بها صراخ جسد امرأة ليس بمقدوره أن يوفر لها أبسط حقوقها الطبيعية. كان يتقاضى عادة ثمن "إلحاحها عليه" ليسرع إلى شحن هاتفه ويداري مأساته على أسماع إحداهن بحديثه الذي يحفظه عن ظهر قلب، يردده بصيغته المتقطعة بضحكته العالية: "مساج العسل!".

أعلن مخرج البرنامج عن فاصل إشهاري خلال تسجيل أولى حلقاتي معه على قناة الهلال لأتفاجأ بأحمد البيلاوي وهو يلتفت إلي بابتسامة

مصرية، يمسح بأصابع يده اليمنى على ذقنه ويقول: "٣٧ ديوان يا مفتري"، يبدو أن سنة الله التي سنت في مصر لا تتغير فالسحر ينقلب دائما على الساحر. استطاع أحمد البيلاوي أن يعيد بلورة تصوراتي عن الوسط الثقافي المصري لمعرفته الدقيقة به رغم تموقعه على هامشه بالرغم من عمله كمقدم برنامج ثقافي أدبي! كان الإبداع والخلق هو عقدته ومأزقه، فهو لم يستطع أن يثبت نفسه كشاعر ولو في الشق العامي رغم احتكاكه المتواصل بالميدان. هذا الإحساس بالنقص كان رافدا مهما لشراع الحقد الذي يدفع سفينة نصبه واحتياله على الوسط الذي يبحر عادة في بحره.

وصلته تحويلة أولى بمبلغ مهم فور عودتي إلى بلجيكا، كانت أول قربان مادي أقدمه لإطلاق مشروع ثقافي محترف تجلى في جريدتي الإليكترونية "نجوم الإبداع"، ووصلت إلى مصر بعدها بأشهر لحضور فعاليات مهرجان شعري هناك ولمتابعة نشر ديواني لدى دار كليم. كان إيقاع القاهرة هذه المرة مختلفا عن كل إيقاع آخر، سألت أحمد البيلاوي عما أنجزه خلال الفترة الماضية بكل المبالغ التي حولتها إليه، لم يكن جوابه إلا التلعثم والمواراة.

-١٠-

كنت ساذجا جدا حين اعتقدت أن أحمد البلاوي أو الشاعر الإعلامي أحمد البلاوي كما يحب أن يسمي نفسه، هو أفضل من عرفت وصحبت بقاهرة المعز، كما كنت أشد سذاجة حين صدقت الشاعر المصري أحمد بخيت شريكه في المواطنة حين كان يقول لي: أستطيع الآن أن أنام وأنا مطمئن لأني أعلم يا أخي أنك تحرسني من الكلاب التي تريد أن تنهش لحمي، والخناجر التي تريد أن تتسلل بين ضلوعي. نام مطمئنا لكنه لم يذكر لي سبب استهدافه من طرف تلك الكائنات التي هي رمز لكل وفاء وأمانة، وكيف تحول معه أصدقاء الظهر إلى خناجر ليل؟

وجهان لعملة واحدة اختزلت في القاهرة! القاهرة، هذه المدينة التي ألهمتني وسحرت مخيلتي منذ أن قرأت عنها منذ عهد الصبا قصصا أشبه بالأساطير، لم أعتقد أني سأزورها يوما إلا سائحا عاديا أو خلال رحلة بعد زواجي مباشرة، حتى ساقتني إليها الأقدار في سياق آخر مختلف كل الاختلاف. ما أن تعرفت عليه خلال أول حوار

تليفيزيوني لي معه على قناة الهلال حتى تقاربت قلوبنا وانسجمت أفكارنا أو هكذا خيل إلي. ركبت أحلامنا نفس القطار الذي ظل يسير رغم وجهته الواحدة على سِكتين، سكّتا الحديد اللتان تختزلان القسوة والبرودة والبأس الذي لم يتورع إلا قليلا فبدأ يبرز أليافه الجارحة.

كانت أول مرة أراها فيها هي حينما فاجأني باصطحابها معه إلى موعدنا بمقهى الهناجر بالأوبرا، أحد أماكن القاهرة القليلة التي كنت أجد فيها راحتي خاصة مع كل إطلالة قمر جديد، مصرية من النوع "البلدي جدا"، تزكمك رائحتها النتنة من على بعد أمتار وتزكمك ضحكاتها وكأنها لقطات مسلسل كوميدي تفشل في رسم غير ابتسامة الاستغراب والدهشة مما تراه فيها وتجده منها لا غير. امرأة تخفي خصلات الشيب بقطعة قماش على رأسها تسميها حجابا، وتتفنن في إحراجك لكي تدعو لها النادل حتى تفوز بمشروب لها ولزوجها على حسابك. شيرين البلاوي كما تحب أن يلقبها الناس ركوبا على لقب زوجها شاعر العامية الذي يرى نفسه إعلاميا مشهورا رغم أن وضعه لا يعدو كونه قدم حلقات حوارية معظمها متواضع مع شعراء كان معظمهم من ذوي المستوى العادي جدا، في بلد تجاوز العديد من الأسماء المشهورة فعلا في حينها وركنها في ذاكرة الأرشيف، أو شيرين منصور محمد محمد الشافعي كما هو مدون ببطاقتها الوطنية المصرية.

لم يكن الفقر أبدا عيبا في يوم من الأيام، غير أن تصنع الغنى بدل ارتداء لباس الكفاف كان دائما هو النفاق الذي يجر متقمصه إلى شر البلاء، كما لم تكن الهامشية عيبا ما دام الإنسان يكافح لأن يصبح معادلة صعبة في مجاله. الكفاح والمثابرة كفيلان لأن يصنعا للطامح مكانة تليق به واعترافا به ولو بعد حين، مع صدق النية وجدية السعي، أما الرسم على طريقة ريا وسكينة وعبد العال فإنه لن يؤدي في نهاية المطاف إلا إلى الوقوع في غير المتوقع، وهو دائما التآكل الذاتي، فالنار حين لا تجد ما تلتهمه تلتهم نفسها وتنطفئ.

منذ أول تعارف مع أحمد البيلاوي خلال تسجيل حلقتي على قناة الهلال، لم يأل الرجل جهدا في تسويق نفسه على أنه الإعلامي الناجح الذي لم يكن يحتاج إلا إلى شاعر في "مستواي" ليكتسح ببرنامج شعري مشترك مجال القصيدة في مصر، كان يحتاج إلى الفكرة والمال والمستوى والعلاقات، كنت في نظره صاحب مال وفكرة و"صاحب مستوى"، وكان صاحب علاقات. هذه العلاقات التي اكتشفت بعدها أن أغلبها كانت مشبوهة ونسائية يربطها بفتيات يشتغلن بمحطات فضائية أغلبها قنوات مهمشة وقليلة المشاهدة، يغدق عليهن بالهدايا وبالمال وبطاقات شحن الهواتف التي يبتزها من غيرهن، واعدا إياهن بالزواج ولو عرفيا، مما يجعله يعزف على مجموعة أوتار غرامية في ذات الوقت، تجعل الضحية تضطر إلى أن تتجسس على عملها ومصدر رزقها لتجس له كواليس العمل في محطتها، قد

يستغلها للضغط أو الابتزاز في مقابلاته مع أصحاب تلك المحطات أو عليها هي نفسها بعد ذلك حين يكتشفن وضعه "الفحولي" على حقيقته. كثيرات هن من سبحن بعذب كلامه وخاصة بوعوده وكرمه و"فحولته المفترضة"، أما اللواتي وطئن عتبة بيته خفية عن زوجته التي يرسلها إلى بيت أهلها بحي فيصل أو هكذا ظل يعتقد فلم يتسللن إليها أبدا بعدها. كنت كلما أرهفته أذني اليمنى – وهو يقص مغامراته الحمراء وغزواته الجنسية، إلا وأذني اليسرى تلقت من مقربيه وخاصة من مقربيها هي قصص مغامراتها هي ولياليها الحمراء هي مع "الزبائن" الذين يجلبهم هو بنفسه لها أو الذين تتمدد على أسرتهم ساعات عملها الطويلة. خبر النساء لدى النساء دائما مكنون، الشريكات في الحزن والأسرار والمغامرات، تماما كامرأة العزيز ونسوة المدينة.

مصر.. هذا البلد العجيب الغريب الذي لم يتورع يوما في سلب المعاني حقيقتها فلا يكاد يبين إلا ضدها، فحين يكون معنى القرآن لفرعون وهامان هو الطغيان يعطيهما بعض المصريين معنى العظمة، وحين تكون الأهرامات معنى للاستعباد والإذلال يعطيها بعضهم معنى الحضارة، وحين يكون النيل مشتركا بينها وبين السودانين ودول منابعه الأخرى، يظل الكثير منهم في وهمهم القديم مصدقين أنه وهب خالص لهم.

لم تكن المرأة يوما في مصر إلا جزءا مهما من صناعة القرار وخاصة ذلك المتعلق بالشر والكيد والجريمة. لست هنا بصدد التعميم لكني بصدد الحديث عن ميزة بعض نماذج المرأة في تاريخانية هذا البلد. وخير مثال على ذلك ذكر القرآن الكريم لمحاولة خيانة امرأة العزيز لزوجها كمثال على فرد، ومناصرة نسوة المدينة لها في جريمتها كسلوك اجتماعي نسوي. ولعل مكانة المرأة المصرية أو نسبة كبيرة من النسوة ضمن معادلة المجتمع والتي اكتسبت صدارة قيادة الأسرة سواء كما تحكي الأساطير بسبب قلة الرجال بعد غرق فرعون وجنده مما اضطر سيدات المجتمع إلى الزواج من العامة والسيطرة عليهم، أو لطبيعة المجتمع المصري المحارب عبر عهوده المختلفة، مما دفع نصفه الأنثوي إلى اكتساب قوة غير عادية لمواجهة أعباء الحياة اليومية ومشاكلها،

لانشغال الرجل بالحرب أو الصراعات التي كانت معظمها داخلية مملوكية، أو غيابه المتواصل لأسباب أخرى لا تخرج عن دائرة الصراع والمواجهة.

هكذا أصبحت المرأة كاملة للأهلية في المجتمع المصري منذ القدم مشاركة للرجل في الإبحار بسفينة المسؤولية في المجتمع المعقد المركب، تتحمل قسطا من تحمل عبئ العيش في ظل ظروفه القاسية جدا، والذي أصبح منبع حرمان لكثير من شرائحه الفقيرة، ومنبع خوف من الغد الضبابي المتلاحقة نكساته تماما كدفقات ماء النيل المتجددة كل يوم.

نفس صورة مجتمعات عدة فقيرة في معظمها، إما أن تصبح المرأة عامل سند لزوجها في مسيرة كفاحه من أجل كسب لقمة العيش وتأمين ضروريات البيت والأولاد، أو شريكة في الجريمة سواء بالمساهمة والمشاركة فيها أو بالسكوت والرضى عن سلوكيات الزوج المنحرفة واللاأخلاقية ما دامت تعتبرها مبررة وسبيلا أوحد للعيش بكرامة أو بغير كرامة، ولو على حساب ضحايا إجرامه، كل الوسائل تهون من أجل مصلحة الأنا، أما الغير فهو مجرد وسيلة للكسب.

هكذا تصبح مسؤولية المرأة من مسؤولية الزوج عن جريمته التي تصبح بالتالي جريمتهما معا، فيصبحان خاضعان كلاهما لسلطة قانون

العقوبات الذي يساوي بينهما في حالة ما قبض عليهما لأنهما مشتركان في الفعل والجريمة كل حسب درجة انغماسه فيها، وبالتالي يصبح القانون عادلا في الاقتصاص منهما سواء بسواء، وليس منتقما من المرأة نكاية في زوجها بل مقتصا منها لحق المجتمع الذي تجرأت واعتدت عليه.

لم يتورع هذا الطرف الأنثوي أيضا عن إقحام كل أسرته الساكنة بحي فيصل بالقاهرة ليشركه في حبك وسبك جريمة نصب واحتيال مصرية مكتملة على شاعر مغربي، فقد أشركت إضافة إلى زوجها، أباها وأمها وإخوتها الذكور في إخراج سيناريو نصب واحتيال، قد ينسي تدوينه المصريين حكاية ريا وسكينة وعبد العال، لأنه وبدون إسالة قطرة دم واحدة، استطاع هو أن يقتل أحلام شاعر ليس في إصدار ديوان كما فعل سابقه أحمد بخيت، بل في قتل حلم من نوع آخر.

كانت الطاولة المعدنية الحديدية المنزوية بأحد أطراف قهوة الزاوية الحمراء القابعة تحت عتمة ليل قاهري آخر، موعدا لخروج أحلام أحمد البيلاوي أو بالأحرى لاصطياد أحلام المثقفين العرب الذين يقصدون القاهرة للنشر، تماما كما تخرج مراكب الصيد لتنسج شباكها حول قطيع السمك المندفع نحو الأفق البعيد، بعيدا عن طاولة الأستاذ "ع.أ " وشاعر العامية "خ.ح" ومن تحلق حولهما يتفرج عليهما وهما يلعبان لعبة "الطاولة" بطريقتهما الممتعة. كانت الطاولة الحديدية التي

طابت حولها جلستي مع أحمد البيلاوي كافية لاستقراء المرحلة المقبلة، مرحلة الغمور والهامشية، ونقطة انطلاق نحو مستقبل مشرق مغاير تماما.

كانت فكرة تأسيس الجريدة فكرة جيدة بالنسبة لي وبداية إعلامية مهمة نحو التوغل في الوسط الأدبي المصري والعربي عموما، فهي ستكون لا محالة جسرا واصلا بين نزف الأقلام العربية من جهة، وبين التعريف بي وبأعمالي في المقابل لدى عموم الشعراء والكتاب والمهتمين، خاصة حينما تتطور إلى مشروع ورقي.

كان البيلاوي يوهمني بأن علاقته بالمثقفين المصريين الجيدة من خلال برنامجه على قناتي الهلال والصحة والجمال قد أكسبته الخبرة الكافية لإدارة جريدة وضمان سيل الأقلام الداعمة لها، كما أن علاقته ببعض الممولين الأجانب والتي تحتاج فقط إلى بعض الوقت لجعلها حبرا على ورق واتفاقا ساريا، ستكون تحفيزا لمشروعنا الإعلامي الذي سينطلق مثل الرصاصة في أمد قريب.

الإشكالية الوحيدة التي قد تعوق هذا المشروع برمته هي علاقتي بأحمد بخيت، فالبيلاوي من ناحية كان يحلم بشراكة أحمد بخيت معنا ركوبا على اسمه وسمعته، ومن ناحية أخرى تربصا به ليرد له الصاع صاعين لثأر قديم بينهما، حاول البيلاوي أن ينتقم منه من خلال محاولة

استضافته في برنامجه نجوم الأدب على قناة الصحة والجمال، لكن أحمد بخيت خيب ظنه ولم يحضر اللقاء من أساسه، وبالتالي لم يبلع الطعم!

كنت أنا الأطرش في الزفة الذي لا يفقه شيئا من أمور عصابة المثقفين والشعراء المصريين، أغتر بضيافة أهل مصر الكرام، وأرد على ابتساماتهم المصطنعة بابتسامة من القلب، وكل تركيزي واهتمامي منصب على شيء واحد هو الجمع بين الرجلين المتنافرين والسعي إلى خلق مؤسسة أدبية إعلامية ثقافية بيننا، يدلي فيها كل بخبرته ومجهوده فتصبح سبقا حقا.

وجدتني على غير متوقع مني بين إرادتين متضادتين كل واحدة منهما تغني على قيسها، لا تجمعها إلا نقطة تلاقي واحدة هي الاستفراد بي وإقحامي أنا لا غير في "مشروعه". لم أكن أود إحراج أي منهما أو نكوث وعدي والتزاماتي معه، فأكملت مشاريعي مع كليهما كل على حدة، دار كليم مع أحمد بخيت ومؤسسة نجوم الإبداع مع أحمد البيلاوي.

بآخر مطافي حين تبينت لي وعود أحمد بخيت الزائفة ونواياه السيئة تجاهي، كانت ثقتي على أشدها في أحمد البيلاوي الذي وضعته أخيرا في صورة ما وصلت إليه مع الناشر النصاب، فرأيت عليه علامات

الحزن والأسى وكثيرا من العتاب، فقد ذكرني بتلميحاته لي قبل ذلك بكثير لكني حسب رأيه لم أنتبه لها، لكنه استبشر خيرا لأن كل طاقتنا الآن ستتوجه إلى تحقيق مشروعنا نحن ونحن فقط.

تسكعنا قليلا ثلاثتنا، أنا والببلاوي وحرمه التي ما كانت لتترك لنا لحظة نتجاذب فيها الحديث بهدوء دون التدخل والمقاطعة، كنت أنبه الببلاوي إلى الأمر غير ما مرة لكنه ما كان يتجرأ لينبس ببنت شفة في حضورها وإلا لم تكن لتتورع في إحراجه أمامي.

كنا ما نزال نبحث عن شقة نتخذها مكتبا لنا وإقامة مؤقتة لي في نفس الوقت وقد أبرز لي أحمد بخيت أنيابه أخيرا ولوح بطردي من مكتبي المشترك معه بالمعادي. اقترحت شيرين شقة والدها في فيصل واصفة إياها بـ "الشِّرحة والبرحة" والمناسبة جدا، طبعا لا تنقصها إلا بعض الإصلاحات واللمسات لتصبح مكتبا "بحق وحقيق". رغم أن الحي لم يكن مناسبا لفتح مكتب جريدة فيه أصلا، إلا أنه كان نقطة بداية على الأقل نتشوف لننتقل بعدها مباشرة إما إلى حي راق بوسط البلد أو منطقة أفضل كمدينة نصر.

لم تستطع أن تفاتح أباها كما فهمت من أحمد الببلاوي إلا بعد أن استنفدت كل الأعذار والحجج معي، لم أكن أفهم ما الذي يجعل

ابنة تتحرج من أبيها لتسأله عن ظروف تأجير شقة معروضة أصلا للإيجار.

جاء اليوم الموعود الذي أزور فيه تلك الشقة المشؤومة، استقلينا سيارة أجرة من حي الظاهر إلى حي فيصل، ما أدهشني هو عدم تذكر البلاوي لطريق بيت أصهاره والأدهى منه زوجته التي تاهت عن بيت أبيها الذي نمت وترعرعت فيه، شيء كدت ألا أصدقه حينها لولا حالة التيه التي رأيتها بادية عليهما. بعد سؤال بعض المارة انتهينا أخيرا إلى البيت الذي كدت أصاب بسكتة قلبية حين رأيت أطلاله منتصبة أمامي، لم يكن أبدا بالشكل الذي تم تصويره لي، كان يشبه إلى حد كبير بيت عائلة أحمد بخيت بالمعادي، شبه بيت ولا بيت، يقبع في ركن زقاق تأنف حتى الخراف أن تتخذه زريبة فبالأحرى أن يقطنه آدميون. بوابة حديدية أكلها الصدأ، وسلم ما زال "الباطون" يقضم أسلاك الحديد البارزة على جنباته، وعناقيد البصل المعلقة على طوله، وأكياس المعجنات المرصوصة على جوانب أخرى، غير عشرات الأحذية وفضلات المطبخ المتناثرة بشكل مقزز أمام عتبات شقة أبيها الحاج المحترم وحرمه، وشقة أخيها نبيل الذي أول ما تطلع في وجهه تحس بحلول كل بلطجية مصر في روحه وملامحه، أما شقة أيمن فكانت عبارة عن مزبلة مصرية في أعلى دور.

طابق آخر نتسلق السلالم نحوه لنصل بعد معاناة إلى شقة أقل ما يمكن اعتبارها أنها مزبلة بامتياز، لم تدخر شيرين أعذارا في كون الوقت الضيق لم يسعف أهلها للقيام بما يلزمه المكان من تنظيف وترتيب، وكأن النظافة شيء طارئ على عائلتها تحتاج إلى موعد لتعبر فيه عن نفسها أو تسفر فيه عن مفاتنها، غير أني تفهمت أو حاولت أن أبدو متفهما لظروف العائلة المحترمة التي وعدتني بتنظيف المكان.
لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فالشقة التي تتكون من ثلاث غرف ومطبخ صغير، وركن منزو قليلا عن المدخل الرئيسي سمعتهم يسمونه حماما أو دشا، كانت تحتاج إلى إصلاحات كثيرة أو بالأحرى كل الإصلاحات، بدءا من الأسقف إلى الجدران إلى الأبواب، إلى الحنفيات والرخام الأرضي إلخ إلخ إلخ، عملية تجهيز وإصلاح كاملة أقرب منها إلى إعادة بناء!

بدت الشقة/ المكتب وكأنها ورشة مفتوحة، عمال البناء الذين أتذكر منهم "شعبان ذهانات" كما يلقب نفسه وآخر معه اعتقد لأول وهلة أنه مدعو لحفلات شاي ودردشة وليس لإنجاز عمل مقابل أجر، لم يكن يمنعني عن زجره إلا سنُّه المتقدم فكنت أستحي أن أوجه إليه الكلام إلا تلميحا لعله يفطن إلى صوت ضميره الذي تراكم عليه غبار الشقق التي عمل بها طوال حياته فلم يعد يحسن إلا الغش والكسل. النجار الذي حول المحل إلى مقهى خاص به وجلسات

شيشة مفتوحة، يتفانى في "تعديل مزاجه" لساعات طويلة يوميا ليقوم ببعض اللمسات الخفيفة يعتبرها عبقرية فرعونية ولا يتورع عن الإثراء على نفسه وعلى ذكائه كلما وجد فرصة لذلك أو لم يجد. نبيل الشافعي "الفهلوي" أخو شيرين البلاوي حرم صديقنا الإعلامي أحمد البلاوي، والذي يعتبر نفسه آخر "مودل" للذكاء المصري، حيث يتقمص شخصية أمين جيبي حتى لا أنفق مليما أحمرا إلا في موضعه، في حين كنت أراجع في صمت كل بيانات وفواتير شراء السلع من المحلات التي يصطحبني إليها أو يكلف نفسه بشرائها دون الرجوع إلي ويحاسبني عليها كل مساء، فأجد أن ما يدعيه من أسعار قد ضاعفها أضعافا مقارنة مع ثمنها الحقيقي في السوق.

أيمن الشافعي الذي لا يتمتم إلا بكلام الله وكل علامات "الإيمان" بادية عليه سواء من لسانه "الرطب" بذكر الله أو بعلامة الصلاة المنحوتة على جبهته، أو صوت القرآن الكريم الذي لا ينخفض صوته من مذياع بيته لا نهارا حين يخرج للبحث عن "رزقه"، ولا ليلا حين ينام الجميع إلا أنا الذي استغربت لطريقة تعامل هذه الأسرة المصرية مع القرآن الكريم، فلا يوقفون تشغيل إذاعته حتى وهم يتشاجرون فيما بينهم ويتقاذفون بأحط ما سمعته أذناي من كلام نابي طوال تواجدي على كوكب الأرض، كلمات مصرية بذيئة أشد البذاءة تبتدئ عادة بحرفي " م " و "ش". فاذا روضوا حناجرهم الصوتية

انتقلوا إلى الصراخ في الجيران من شبابيك بيتهم أو "البلكونة"، فإذا اكتفى منهم أيمن لم يتورع في قيء غيظه وسفالة أخلاقه على أي من المارة أو العابرين لسوء حظهم ساعتها بقرب بيتهم أو وكر البلطجية في حي فيصل كما سميته.

كان لأول ليلة قضيتها بشقة فيصل طعم خاص، الشقة لم تكتمل بعد، ونشاط العمال أشبه ما يكون بنشاط الحلزون في تسلق جبل، وآل شيرين الببلاوي مدركون جيدا أن صيدا ثمينا قد وقع بين أيديهم فلا بد من استنزافه حتى آخر يورو يملكه، إلى درجة أن الأب "الحاج رئيس العصابة"، طلب مني أن أقوم بإصلاح كل سلم البيت وواجهته التي ما زالت تتزين بالإسمنت فقط وما زال ينقصها الكثير لتصبح بهية كامرأة مصرية تظن أن جمالها في قارورة البذرة البيضاء. غير أني قررت الانتقال نهائيا إلى الشقة وقد وصل أحمد بخيت معي إلى قمة أذاه وعدوانيته، رغم استغراب أحمد الببلاوي ورهانه على أني لن أصبر على حياة التقشف تلك ولو مؤقتا، لم يكن يدرك بعد أني نشأت حياة جد خشنة، ولم تكن لديه أدنى فكرة عن ماضي المتمرس المستعد الذي يجعلني أتأقلم مع أي وضع كان، سواء كان بذخا أو متواضعا أو زهيدا.

كان كل شيء كما يرام بالنسبة لي، إلا من ضجيج حي فيصل الذي لا ينام تماما كباقي أحياء القاهرة ولا يترك أحدا ينام، غير أن ما لفتني

به هو التكاتيك التي تجوب الأزقة والدروب والحارات بسرعة جنونية حتى في ساعات الليل المتأخرة أو ساعات الصباح المتقدمة، رافعة صوت الموسيقى حارمة من راودته نفسه بالنوم والاستراحة، هذا الحق البسيط الذي يصعب تحقيقه في حي على هامش حضارة لم يعد الصخر يحتل فيها مكانا إلا في قلوب بعض أبنائها!

الأغرب من كل ذلك هو تلك الواجهة الدينية أو الطلاء الإيماني الذي حاول أن يغريني أصحاب البيت به أو ربما موقعة ظني من خلاله عنهم، ابتداء من التمتمات التقليدية التي يحاول أيمن أن يقنعني من خلالها بأنه إنسان متدين و"يخاف ربنا"، إلى علامة الصلاة المنحوتة على جبهته وجباه كل ذكور العائلة "المحترمة" تقريبا، إلى صور حجه وعمرته المعلقة على جدران بيته وبيت عائلته، إلى الحجاب المحتشم الذي تلبسه نساء الأسرة اللائي قليلا ما أصادفهن في السلالم التي لا تعكس "إيديولوجية" الأسرة (الإسلامية) أبدا التي يعملون على تسويقها، عدا الأطفال الذين لم يطبقوا عليهم حديث النبيص : النظافة من الإيمان.

كان الأدهى والأمر من كل ذلك هو توظيف القرآن ليس بغرض شفاء الصدور كما شاء له الله سبحانه وتعالى حين أنزله على عبدهص، بشكله الذي لم آنسه في حياتي، هو إطلاق شريط القرآن وبأعلى صوت ممكن بعد صلاة العشاء عادة وأحيانا قبلها، إلى ما

بعد صلاة الفجر وأحيانا إلى ما بعد أزوف ساعات العمل، شيء تجد معه نفسك محرجا ومتخوفا أن تتهم في عقيدتك إذا طلبت منهم تخفيض صوت مكبرات صوت القرآن الكريم وأنت القادم من بلاد الغرب، وكل التهم التي تكفرك وتخرجك من الملة جاهزة، تماما كما تخرج اليوروهات من جيبك المثقل. فإذا احتج أحد الجيران وطلب تخفيض الصوت تهجم عليه أيمن بأقبح الألفاظ فيرج البيت بما فيه ومن فيه تحت وطأة قاموس بلطجة غريب جدا!

حين كلمت أحمد البلاوي ليتدخل لحل مشكلة "نومي" في بيتي الذي أدفع أجرته بعد أن جهزته من حر مالي كمكتب وإقامة، تلكأ بشتى الأعذار متعللا بأن ابنة أيمن "مسكونة من الجن"، لذلك فهي تحتاج إلى صوت القرآن الكريم المرتفع كل ليلة حتى تستطيع النوم. قرأت الكثير عن حالات المس سواء الجزئي أو الكلي وما سمعت عن طريقة المعالجة هذه. عرضت عليه أن أشتري لها جهاز mp3 حتى تنعم بدوائها وأنعم بنومي لكن يبدو أنه لم يتجرأ على مفاتحتهم في الأمر، أو لعل ذلك كان آخر همه وقد حقق مراده من قبض للمال.

كعادته حين يقتحم علي باب الشقة دون استئذان، ودون مراعاة للخصوصية متعللا بشتى العلل والأعذار، دخل نبيل البيت ثم لحقه أيمن، كان الفرصة مواتية لأستفسره عن صوت المذياع القرآني المنبعث طوال الليل من شقته. استغربت من جوابه زاعما أن "السمكري"

أسفل البناية هو من تعود على ترك مذياعه مرتفعا بصوت القرآن ليلا لتحل البركة عليه نهارا وهو ينتظر زبائنه مدخنا شيشته، ومتعقبا نساء الحي الحسناوات منهن وغير الحسناوات بنظراته الظمآنة لكل ما يتعلق بما هو جسد أنثى. روايتان مختلفتان لصوت قرآن مرتفع طوال الليل لا يمكن أن تصدق منهن إلا الأولى باعتبار أن الصوت ينبعث من أعلى البناية حيث يقطن أيمن وليس من أسفلها حيث محل السمكري، تعجبت ممن يستمع للقرآن الكريم ليلا ليشق فجر كلامه بكذب.

-١٢-

لم يكن أحمد الببلاوي يتخذ من حصص الكاستين ذات الساعة والساعتين وأكثر فقط وسيلة لاختيار الممثلين والممثلات لتحقيق هذا الحلم الطافر على مشروعنا الواعد، بل شراكا للإيقاع بالحسناوات اللائي يأتين بدافع حب النجاح لا فرق بين ذلك العذارى منهن أو

المتزوجات، ليجدن أنفسهن مدفوعات إلى زوايا حمراء سواء كانت متوقعة منهن أم غير متوقعة أصلا، لم تعد الكفاءة هي معيار مشاريع ممثلي "الفيلم" بل كان هو القوام الرشيق والعيون الخضر وقابلية تلك "الإناث" لركوب أي شيء ليصبحن نجمات، تنتهي بكثير منهن إلى مشروع جسد استثماري لصالح محفظة البيلاوي.

رأيتها خلال إحدى الحصص، كانت تبدو عليها ملامح الجدية والطهر والعفة والثقة الزائدة في النفس، غير أنها لم تكن أبدا منضبطة لـ"صمت" القاعة الذي كان يتحتم توفره لتسهيل الانسجام التام بين الواقف هناك خلف الكاميرا ولجنة الاختيار والتقويم التي لم تكن تتشكل سوى منا معا، وزوجته الحاضرة في كل منعطف يومي معنا!

كانت "ي.م" فتاة نشطة مرحة رغم جدية ملامحها، من صنف النساء اللواتي يجعلن بينهن وبين عيون الرجل الشرقي حاجزا من العفة أو يوهمنه بها حتى لا تخرج علاقتهن به عن إطار الشغل والعمل خاصة إذا كان متزوجا. لم أكن أظنها إلا فتاة قد تجاوزت العشرين بقليل تحاول شق طريقها بنجاح وإصرار، حتى عندما كنت أطلب منها السكوت بدل المرة عشرة ونحن نقوم بتصوير الكاستين، لم أكن أسمع منها إلا صيغة اعذار تتكرر تلقائيا كطعنات النصب التي تلقيتها، متشابهة وعلى وتيرة واحدة.

جلست مساء على مقهى الظاهر مع أحمد البلاوي، وكعادته حين يفتح هاتفه على صوت امرأة ينسى من بصحبته لأن الضحية التي يتردد صوتها في أذنه المتدلية كأذن فيل صغير هي أنثى. كانت تلك الفتاة البريئة الناعمة الخجولة هي طريحة كلامه هذه المرة، بعدما تنقلت الكلمات بينهما من العمل الكؤود إلى الصبر إلى المثابرة، إلى النجاح الذي بدت معالمه تلوح في الأفق، انتقلت في رمشة عين إلى النحل والزهر ومساج العسل. كنت بين المصدق والمكذب، لقد كنت أرى فيها لقبيل ساعات أو لحظات نموذج الفتاة المصرية والطالبة المثابرة التي تسعى إلى تحقيق ذاتها بكل وسيلة شريفة ترفعها أخيرا إلى المنزلة التي تستحقها وتليق بها ولو بعد حين سنين من الحرمان والكفاح، لكني لم أتوقع كما أشياء أخرى كثيرة لم أتوقعها أن تغرق في إغراء عسله، في يوم جمعة ببيته وعلى سرير زوجته أو هكذا توهمت، شيرين التي خرجت قبيل الظهر قاصدة حي فيصل لزيارة بيت أبيها الحاج، أو هكذا قالت!

كان الطريق مزدحما وشاقا من الظاهر إلى التحرير، وكانت "قعدة القهوة" قرب ميدان طلعت حرب قد بدأت تطفو عليها الرتابة والملل وتكرار الحديث وكثرة المكالمات. كان أحمد البلاوي يترنح أحيانا في طريقة كلامه ويبالغ في ضحكته لأكتشف مع الوقت أنه خمير لكن متكتم، حشاش لكن بأصول، وربما كان يتناول مخدرات أخرى لم

يخبرني بنوعها أو صنفها بعد، تفاجأت من ذلك ونصحته أن يفارق كل ذلك لأنه لا يلائمه وهو الرجل الذي يحاول أن يظهر دائما بما يبعده عن أي شبهة لأن الإعلام فضّاح، إلا أنه كان يرجع ذلك إلى أسباب نفسية تتطلب منه "رفع المزاج" بين كل فترة وأخرى.

رأيته متوترا على غير عادته ونحن نقف أمام البناية التي نجري بها تداريب الكاستين المطلة على الميدان، لم يرد على المكالمة التي ظل صاحبها من الطرف الآخر من الخط يلح عليه بالرن بعد الرن، لكنه ظل يتعمد عدم الرد عليه. أخبرني بأن كل أرقامه الهاتفية محروقة فكلما غير رقما اكتشفه الحاقدون على نجاحه، أجبته شيء طبيعي لأنك تعرضها خلال حواراتك التليفيزيونية على شاشة برنامجك ولا تكتفي بأرقامه فقط، استغرب من ملاحظتي!

استبد التوتر به وزاد من تربصه بكل الاتجاهات قبل أن يسارع إلى الصعود إلى البناية واستقلال المصعد الذي رفعني معه إلى الطابق المطلوب. كانت هاجر هذه المرة قد حسمت أمر تخوفها من "أ.س" وقررت مشاركتنا في الفيلم المزعوم. رآها أحمد البيلاوي فنسي كل فاتناته السابقة وتسمرت عيناه عليها، كنت أعجب من برودة أعصاب زوجة البيلاوي أمام حسن هاجر وعدم غيرتها من تصرفات زوجها وكأن الأمر لا يعنيها، عكس ما تحاول إظهاره أمام غيرها من "المصريات"!

جريمة في الحي الراقي، عنوان السيناريو الذي أدخلني فيه هذه المرة هذا البيلاوي. حاولت تنبيهه إلى أن الأمر قد تجاوز كل الحدود وخرج عن إطاره الذي رسمناه له بداية فما علاقة إنشاء مؤسسة إعلامية بإنتاج فيلم لم يحسب حسابه جيدا ولم يكن ضمن مشروعنا أو أهدافنا أبدا، كان جوابه باستعداده لتحمل أي نتيجة عكسية أو خسارة مالية كفيلا بإخماد ثورتي عليه وامتصاص شدة غضبي منه، وقد استسهل المال بين يديه فلم يعد يلوي على حلم.

بدأت حصص الكاستين بالبناية المطلة على ميدان طلعت حرب، بناية عتيقة كمعظم بنايات القاهرة، تتضمن بهوا وعدة غرف واسعة بعض الشيء مع جدران وأرضية عازلة للصوت بإمكانيات بدائية للغاية، بعض الكراسي البلاستيكية التي تحتل الجانب الأيمن مباشرة بعد تخطي الباب وكاميرا أحمد البيلاوي وجهاز الحاسوب الأبيض المتوسط الحجم الذي جلبته له من بلد إقامتي، وآلة تصوير. بدأ الشباب الحالم بالنجومية المزدحم على الباب بالدخول تباعا للوقوف أمام الكاميرا لتجريب أدائهم صوتا وحركة بارتجال مواقف معينة تناسب شكلهم أو طبعهم أو شخصية الممثل التي يتقمصونها عادة، كانت نجاحات نجوم السينما المصرية تشع من عيونهم وهم من يريدون أن ينالوا نفس الحظ الذي حظوا به أو ربما عشره فقط.

كان أحمد الببلاوي يتعامل معهم بذكاء ولباقة لكن أيضا بغرور وكبر، وكانت زوجته شيرين تحاول أن تظهر كامرأة شخص مهم لها كلمتها في كل شاذة وفاذة وكأنها سليلة يوسف شاهين. توالت الأيام وتوالت حصص الكاستينج وتوالى الدفع والدفع، وكيف لا يدفع وهو يغرف من بئر لا ينضب أو هكذا قد تهيأ له. توالت وجوه ووجوه على تلك الغرفة التي كانوا يرون فيها شرنقة انطلاقة أجنحتهم نحو عالم الشهرة والثروة، وكنت أراها مضيعة للوقت والجهد واستنزافا للمال. ابتدأنا في اختيار الشباب الكفء لأداء الأدوار مع التركيز على ممثلين "قبطيين" يقومان بالرئيسية منها، وبدأنا في ترتيب المكان الرئيسي الذي سيتم تصوير الفيلم فيه. كان كل شيء جاهزا من السيناريو إلى المخرج إلى الأجهزة إلى أدق تفاصيل الإنجاز، كنا نحتاج فقط إلى صوت عذب لأداء أغنية الفيلم.

رأيتها كالشاة الضائعة وسط القطيع، تتحسس طريقها بكثير من الحيرة والقلق على مستقبلها الفني في القاهرة، فتاة تونسية حباها الله بحضور هيأة وجمال رباني وصوت نادر لكن ما كان ليفتح لها أبواب فرصة تليق بها في مصر فقط، بل فتح عليها أبواب الشر الذي يملك مفاتيحها من تمرس على نصب الشراك للحالمين العرب السذج. كان "أ.س" الذي لا تراه إلا معانقا عوده عازفا على أوتاره وسيم الوجه عذب الكلام لكن في فيلمه السينمائي الذهني. كان واقعه شيئا آخر

مختلفا، مرتابا من كل من يقترب منه، عنيفا مع كل من لا يقاسمه رأيه واهتماماته، محتقرا لكل ما يمثل رؤية غير مصرية إلا إذا كان جسدا ناعما، فحينها تسقط الوطنية وتسقط كل الأهرامات لتجثو جثو أبي الهول على عتبات جمال أجسادهن.

ما إن وصلت هاجر أرض القاهرة حتى استطاع إدخالها في دوامة وعوده، لم تكن بالحديثة سنا ولم تكن بالفقيرة فلم يجد لها منفذا لاتخاذها محظية له وقد كانت تتمتع بشخصية قوية وبصفة جديدة على كثير من نساء ذلك الوسط: "الكرامة". كانت قد حددت من قبل طموحها وعرفت طريقها وعرفت أكثر أشواكه وذئابه. لكن "أ.س" لم ييأس خاصة حينما اقترحت عليها أداء الدور الغنائي في الفيلم فاعتبرتها فرصة مناسبة جدا لها.

عادت مساء إلى بيتها رفقة إحداهن لم تكن لتفارقها لا ليلا ولا نهارا، ولا حتى أداء خلال ليالي السمر التي تقضيها بمقهى الهناجر بالأوبرا لتجد أن كل مقتنياتها قد سرقت منها: المال، جواز السفر، البطاقة الائتمانية، الصور الشخصية، كل شيء. لم يترك لها اللصوص حتى ثمن كوب عصير قصب! كادت أن تنهار من هول الصدمة، اتصلتْ بمن توسمتْ فيهم الخير فمنهم من تعاطف ومنهم من اعتذر وكثير منهم ساوم!

جلستْ مساء على إحدى طاولات مقهى الهناجر منكسرة، كان أحمد البلاوي يحاول أن يطرب سمعها ببعض كلماته التي يحاول أن يبيعها إياها بعشرة آلاف جنيه معتقدا أنه أحمد رامي أو محمد حمزة! وكانت هي تبحث عن من يُقرضها ثمن عشاء لكن بدون مقايضة، لم تكن لتلين أو تستكين. اتصلتْ بوالدتها بإيطاليا حتى تبعث لها حوالة مستعجلة. مساء اليوم التالي تتفاجأ بـ.."أ.س" وقد استطاع بطريقته وطول يده استرجاع كل أغراضها من "البلطجية" الذين تجرأوا على سرقتها كاملة غير منقوصة، تماما كما لم ينتقص شيء من شرفها وعزة نفسها!

ما زال يرميني بعيونه شزرا ويتوجس ريبة من هذا الزائر الذي جاء من بعيد، خاطبني بكبره أول مرة حين تفاجأ بأني لم أتعرف عليه: " أكتب اسمي ع الجوجل وانت تعرف مين أنا؟" أجبته لو كنت أعرف اسمك لما اضطررت إلى أن أكتبه على الجوجل، كيف لي أن أكتب كلمة في محرك البحث وأنا أجهل الناس بها! لم يطأطئ من غروره قليلا إلا عندما سمع بعض أشعاري حينما طلب مني بعض الأصدقاء إلقاء قصيدة مع من ألقى خلال سمرنا تلك الليلة.

كانت هاجر تتمنى أن تغني بعضا من شعري لكن ليس في مرحلة بدايتها، فتركت لها اختيار أي قصيدة شاءت تؤديها حين تكون مستعدة لها، أهديها إياها حينها وبالمجان. غير أن ذلك "الملحن

المتواضع" لم يستحسن الفكرة لأن عوده ما كان ليسعفه في تلحين نمط شعري مختلف عما تعود على دندنته من كلام عامي!

أخبرني أحمد البيلاوي بقصته مع صاحب التهديدات، كان قد بدأ معه مشروعا انتهى إلى غير ما كان مروجوا منه، غير أن صاحب التهديدات لا يريد أن يقتنع بأن الذنب ليس ذنبه وأن الظروف الاقتصادية هي التي حالت دون نجاحه، كنت قد ابتدأت في الشك في هذه الأسرة العصابة لكن الفأس كانت قد وقعت في الرأس للأسف الشديد.

بدأت أدرك أن قصة صاحب التهديدات تشبه إلى حد كبير في شكلها وعبرها قصتي معه ومع حرمه، ما لم أكن أعلمه هو خبث هذا البيلاوي ونذالته إذ آثر الإصرار على تجريم الطرف الآخر وتخطئته رغم أن حيثيات القصة تدل على أنه لم يكن ينوي سوى استرجاع حقه وبأية طريقة مشروعة كانت. علمت بعدها أن البيلاوي كان قد انهار أمام غيره ممن حاول معهم، انهيارا جعله يقطع شرايين يديه لمرة أو مرتين، كانت دائما حكمة الله تنقذه من شرك الموت بأعجوبة، لتلقي به في العَود وبالتالي شراك فضح حياته البئيسة على رؤوس الأشهاد، والتي قد تسوقه هذه المرة إلى طريقة أخرى لتخليص العالم من روحه النتنة ما لم يتعظ، فالانتحار موت، والموت كما قال أبو الطيب المتنبي قد تعددت أسبابه في مصر!

-١٣-

جاءت مصر قادمة من فرنسا وقد غزا الشيب مفرقها بعدما نفضت عنها عزة جبال الأوراس، تحمل حلم الشهرة بين ذراعيها لتضعه على أي يد سراب تمتد إليها. كيف اجتمع جنسها الأدبي بطيش شيبها وكيف وسوس لها الغرور أنها كاتبة متميزة؟ ودعت زوجها وأبناءها الذين بلغ بعضهم مرحلة الدراسة الجامعية وجاءت إلى أرض الفراعنة تعرض بضاعتها للنشر. تلقفها من يحسن اصطياد الفرص الأوروبية ليدخلها في دوامة الشهرة، لم ترجع بعد انقشاع سحابة الحلم على الوهم إلا بكتاب في طبعة متوسطة بل متواضعة!

خاضت التجربة تلو التجربة، وتكسرت أحلامها على حافة الواقع المصري الثقافي الذي أوصل سمعة الكتاب إلى ما وصلته. تلقفتها سواعد الشاعر المشهور لترفعها على أكتاف الحلم من جديد وتعلق آمالها ولو للحظة ضياع وصدمة على عتبات المجد. كيف التقت مآلات كتاباتها الأدبية بشاعريته الطافحة، أم أنه من صنف ما خفي كان..؟

سبقتني بزمن إلى دار كليم للنشر والتوزيع، ووقعت قبلي في شراك أحمد بخيت أيضا بزمن، ما زالت شرنقة إبداعها لم "تفرفش" بعد، وحدها الوعود التي أخذت منها مكمنا في الذاكرة. حينما سافرت إلى مصر خلال زيارتي الثانية لحضور مهرجان رابطة العالم العربي والمهجر التقيتها بالقاهرة بدار كليم بمكتب المهندسين حينها. كانت كالطفلة الوديعة الواضحة المعالم التي لا يمكن أن تحتفظ بسر أبدا خلف حجاب براءتها، جاءت لتأخذ كتابها مثلي من الدار لتصطدم هي نفسها بصخرة الصدمة البخيتية التي هزت حلمها المصري ثانية ولو لوهلة في قلوب الكثيرين والكثيرات. لم تجد بغيتها فطلبت استرداد مالها كاملا من أحمد بخيت، كانت أعذاره إليها تشبه كثيرا أعذاره إلي وتنضح بالمزيد من الوعود والكلام المعسول.

لم يكن يجهل بأن ظروفها المادية لم تكن بالسهلة أيضا ورغم ذلك ظل يبتزها لتدفع ثم يعيد ابتزازها لتدفع أكثر، كان من الصعب علي

أن أتفهم سبب تقديمها مبالغ طائلة له كل مرة وهو لم يعدها لا بشراكة أو لا بأي مشروع على الإطلاق كما وعدني أنا. كانت تدفع وابتسامتها الطفولية لا تفارق محياها ودعابتها البريئة تتناثر على أي مكان تحل به لتعطيه مسحة ثمن البهجة، وتدخل عليه الكثير من السرور، نفس ضحكة وبراءة أحمد البلاوي التي كان يبادلها إياها كلما التقاها صدفة وأنا معه نتسكع تحت نور قمر قاهري في رحبات الأوبرا حين كان يسمح بذلك وقته الثمين!

وجدت نفسها بين انتباهة يوم وغفلة ليل مفلسة وبطاقتها الائتمانية معطلة، اضطرت إلى الاستدانة وقد وجدت دار نشر بديلة و"شريفة" لتنجز لها كتبها بعدما تم نصب الأولى عليها. أحرجت مع أحمد بخيت فلم تتجرأ على مواجهته أو"إغضابه"، كانت "أخلاقها العالية والمهذبة" تمنعها دائما من أن تطلب منه شيئا أو تذكره بالتزام ما تجاهها وهي التي ما جاءت مصر بعد حضور نشاط الرابطة إلا لاستخلاص كتابها من بين براثن دار نشره والعودة مسرعة إلى بيتها وزوجها وأولادها وعملها!

لم تجد أمامها غيري ونحن كلانا في نفس الوضعية، وكلانا مدرك جدا ومتفهم لظروف الآخر "ع الآخر". طلبت مني المبلغ على استحياء على أن ترجعه إلي مباشرة بعد عودتها إلى فرنسا، أحسست بالحرج أمام دموعها لكني لم أستطع رد طلبها وخاصة وأنها كانت على علم

بتوفري على سيولة لا بأس بها حينها، قدمت لها المبلغ الذي طلبته "٢٧٠٠" يورو نقدا على أساس أن أستلمه بعد حين وحين قصير جدا، تم ذلك بين الفترة من ٢٠ أبريل و٠٣ مايو من سنة ٢٠١٢!

لم أعد ألقاها إلا مبتهجة ولم تعد تلقاني إلا مهموما مرتابا مما بدأت أحس به وأستشعره من تغير نوايا "المثقفين والإعلاميين" المصريين من حولي، ما أفظع أن تحس بأنك مجرد فريسة تنهشها كلاب القاهرة ليظفر كل وحش من وحوشها الكاسرة بـ "حثة" من محفظتك، يسكت بها جوع نفسه القاهرية وشراهتها المصرية.

شاركتني وأحمد بخيت معظم جلسات السمر وتأملتنا ونحن نتسكع في دروب وأزقة الأحلام والمشاريع الكبيرة والضخمة، وتلقفتني بابتسامتها المرتابة أحيانا أخرى وأنا أحكي لها عن مشروعي الإعلامي مع أحمد البلاوي كانت هي تلك الروح التي تكتفي ببسط ابتسامتها لك لتلمس معها نسمة البشر التي تطل عليك من وراء غيب. كم رددت على مسامعي حلمها الذي طفا فجأة بعدما رأت بوادره معي وأحمد بخيت، ورددت أمنيتها بمشاركتها لنا مستقبلا إذا تحسنت ظروفها المادية. كان أحمد بخيت لا يبخل عليها بابتسامته المرحة ويصف لها مكانتها في الشركة إذا وافق "حضراوي"! لم يكن "حضراوي" ليمانع أن تضاف إلى شراكته معه: امرأة طيبة بروح "طفلة"!

انفض مولد مهرجان الرابطة على غير المتوقع منه، وانفضت الأحلام المغاربية عن أزقة القاهرة، حملت أجنحة الطائرة قلوبنا المثقلة بالريب كنسمة حزن عميقة وشمت القلب وعادت به إلى غربته المعتادة. جمد برد باريس وعود كاتبتنا بالوفاء بعهودها وتسديد مستحقاتها المالية لي. كانت مفاجآت العودة إلى البيت وغير المنتظرة هي ما أخر التسديد لأشهر. توصلنا أخيرا إلى حل تقسيط الدين حسب المتيسر، فبدأت بدفعة أولى بعد أشهر قليلة من إصداري أول بيان كشف حقيقة أحمد بخيت على صفحتي على الفايسبوك! حزنت لما نشرته على صفحتي وتأسفت لما آلت إليه الأمور بيني وبينه ووعدتني بتقصي الأمر والتوسط بين الشاعرين اللذين لا يمكن أن تختلف سبلهما أبدا وقد كانت انطلاقة تعاونهما وشراكتهما على أسس محبة واحترام وتقدير ومشروع كبير وعملي. كانت تدرك بأن مشروعها أيضا يتعرض لأكبر انتكاسة فكان لابد أن تتدخل لإنقاذ ما يمكن إنقاذه بين شاعر مغربي وشاعر مصري، وما زال وعد يخيت بفتح مكتب لدار كليم ببرج خليفة بدبي يطفو بها على نسمات الحلم!

كانت دفعة تسديدها للقسط الأول من الدين كدلو الماء الأول الذي فاجأ ناري المشتعلة ببعض الخمود، وعدتها بالتريث إلى حين سبر غور نية أحمد بخيت في حل الإشكال العالق بيننا بشكل ودي لعل الأمور تعود إلى نصابها الأول وتعود المياه إلى مجاريها، والتي لا يمكن أن

تتحقق إلا بنشر ديواني "قصائد في زمن الثورة" وتوثيق عقد الشراكة مع دار كليم، خياران لا ثالث لهما حتى تلك اللحظة.

تفهمت رؤيتي وظروفي المادية ووعدتني من ناحيتها أن تتدبر أمرها بعد أول تسديد قسط ولم تتأخر علي، أيام قليلة جدا وتبعث لي قسطا مهما من مبلغ الدين. وفت وعدها ثانية وبعثت إلي بحوالة على حسابي مباشرة، كان المبلغ "١٠٠٠ يورو" بعد أول مبلغ بعثته وهو "١٢٠٠" يورو. كانت هذه أول من تعاملت معها -وهي غير المصرية- في بلاد النيل توفي بالتزاماتها تجاهي أو تكاد على الأقل!

لم يتبق الكثير من أصل الدين، سألتها إن كانت قد توصلت بمجموعة كتبها التي اقترضت المبلغ لأجل استصدارها بمصر فأخبرتني بأن ظروفا طارئة تحول دون ذلك حتى اللحظة، غير أن الوضع على خير ما يرام فلا داعي لأن أقلق. سألتني إن كان بوسعي أن أنتظر بعض الشيء على القسط المتبقي لظروف ابنها الذي يمر بظروف صحية صعبة يجعلها بحاجة للمال فأجبت بالإيجاب دون تردد وقد استرجعت القسط الأكبر من الدين، أو من أحد أصول المبالغ التي خرجت تباعا من محفظتي خلال سنة ما بعد ثورة ٢٥ يناير!!

لم يكن المبلغ المتبقي لي عليها يتجاوز الـ "٥٠٠" يورو، ورغم أهميته لم أجد حرجا من الصبر عليها وقد أثبتت أمانتها ونفذت التزاماتها

كما وعدت ولو في فترات أطول مما وعدت به، غير أن الأمور بنتائجها. مرت أشهر لتسألني إن كان بإمكاني تقسيم المبلغ المتبقي لي عليها إلى قسمين "٣٠٠" يورو فال"٢٠٠" المتبقية لنقفل هذا الصفحة نهائيا. استغربت من برودة أعصابها وهدوئها ولم تتوصل بعد بأي كتاب من دار النشر التي تعاقدت معها لطبع كتبها الثلاث دفعة واحدة كأعمال كاملة بعد كل هذه المدة من الزمن، لم أكن أعلم حتى ذلك الحين شيئا عن دار النشر تلك، لا اسمها ولا اسم صاحبها ولا عنوانها، لم نتطرق لهذا الموضوع أبدا، كان موضوع الدين وطرق تسديده هي الغالبة على حواراتنا، وكانت قصتي مع أحمد بخيت وإخلاله بالتزاماته معي لنقضه كل وعوده معي هي ما يطفو على حديثنا من ألم وحسرة.

تأخر تسديد قسط مبلغ الـ "٣٠٠ يورو" ما قبل الأخير أو ما كان مفترضا أن يكون الأخير إلى أواخر صيف ٢٠١٣، شكرتها على عدم نسيانها لي وتذكرها لالتزامها نحوي فوعدتني بآخر دفعة في أقرب فرصة. لم يكن المبلغ بالمهم أو الكبير مقابل ما وفت به لي فتركت لها اختيار الوقت المناسب لها ولظروفها لتسديده.

لم يزدد أحمد بخيت إلا إصرارا على جرائمه المادية والمعنوية والأخلاقية نحوي، اتصلت به بآخر وسيلة كانت متاحة لي بعد وهي الفايبر ليجيبني بطريقة وقحة بأني لست سوى "حمار وانضحك عليه"،

أخبرتها بتطور الوضع معه ووصوله إلى مستوى لا يقبل من الإهانة الشخصية المبتذلة فلم تصدق زعمي. عندما تأكدت وعدتني بالتدخل لديه لإيجاد مخرج لما سميته أنا نصبا واحتيالا وما زالت تصر هي -كما هو حال كثير ممن حاولوا التوسط بيننا- على أنه عسر مالي تعرض له حال دون تنفيذه التزاماته معي. لم يكن ممكنا أن أتقبل هذا التعليل وقد كان العقد واضحا بيني وبينه ومدفوع الأجر مسبقا وبالعملة الصعبة. حاولت اختلاق التبريرات حتى دهشت من دفاعها عنه ومحاولاتها اليائسة لتبرئة ساحته معي كما لو أصبحت محامي الشيطان!

تبينت نوايا أحمد بخيت أخيرا بعدما خذل سمعته وشهرته من أجل مبلغ زهيد لا يتعدى ٥٠٠٠ يورو مجتمعا أو يكاد، لم أستسغ الذبحة الأدبية والمعنوية وطعنته لطموحي المشروع البسيط في نشر ديواني وكدت أن أُجن من هول الصدمة. قضيت الأيام والليالي أفكر ليس في كيفية استرجاع مالي منه فالمال يعوض ولو بعد حين، ولكن في كيفية إفراغ هذه الشحنة من الحزن والألم التي امتلأ بها صدري في أرض شهد الله لداخلها بالأمان فجعلتني أخرج منها ممتلئا بالأحزان، وأكثر من ذلك المساهمة بشكل جديد لنزع الأقنعة عن "أمراء النصب والاحتيال" في الوسط الثقافي المصري خاصة ما يتعلق بصناعة الكتاب.

قل نومي وانسدت شهيتي عن الأكل والشرب وكل متعة أخرى، وتلاشى نشاطي اليومي وحماسي للحياة، حتى اهتديت ذات ليلة إلى فكرة تدوين رحلاتي إلى مصر بين دفتي كتاب. لم تكن معالم هذه الكتابة قد تبينت بعد لكنها كانت صبت في موضوع واحد هو الغاية من سفري كله: البحث عن دار نشر محترمة تقدر الشعر والإبداع وتخرج به من ظل الرفوف إلى خلود بين دفتي دواوين، غير أن منحى الرواية تحول شعوريا ولاشعوريا في سياقه، إلى كيف نصب لي الشاعر أحمد بخيت - الذي حقق نجاحا وشهرة من خلال أشهر وأكبر برنامج يهتم بالقصيدة العربية: برنامج أمير الشعراء، وذلك من خلال احتلاله للمركز الثالث بموسمه الثاني- شراك وعوده الزائفة وحباله الخداعة فقط ليظفر بغنيمة يوروهات معدودة!!!

انتهيت من كتابة السيرة التوثيقية في ظرف وجيز جدا، عرضت المخطوط على أصدقاء متخصصين في السرد والرواية وأنا المبتدئ في كتابة النثر، توقعت منهم سيلا من الملاحظات على طريقة تدويني غير أن العكس تماما هو ما حدث. أجمعوا كلهم على أن ما سردته من أحداث قابل للنشر بل ومستحب بل وواجب توثيقا لما مررت به من انتكاسات في مساري الحزين مع الطبع والنشر، وشهادة أدبية للتاريخ على ممارسات مشينة تعرضت لها في مصر حتى يتعظ غيري فلا يقع في براثن مثلها.

اتصلت بالكثير من دور النشر المصرية، رفض معظمهم فكرة نشر روايتي جملة وتفصيلا خوفا من حساسية الموضوع أو لتشابك المصالح التي لم أكن لأدركها حينها، تحمس بعضهم لها غير أن قلبي كان يأمرني أن أبتعد عن مصر لأبحث عن وطن آخر لشدو الكلمات.

اهتديت أخيرا إلى دار نشر جزائرية اشترطت أولا قراءة العمل ثم إبداء الرأي بالموافقة أو عدمها على النشر، طلبت كل الأدلة والوثائق والمستندات التي تثبت "زعمي وادعاءاتي" على أحمد بخيت، ثم بدأت بعد تأكدها من صحة روايتي آلات مطابعها في نحت بصمة قراءتي لبعض أوجه المشهد الثقافي المصري على صفحات الأوراق البيضاء.

أعلت عن روايتي على صفحتي الرسمية على الفايسبوك ليكون أول من ابتدرني مستغربا عن موضوعها هي: الفرنسية. سألتني عن معنى ما نشرته وحيثياته؟ فأخبرتها أنه تدوين لكل ما حدث لي في مصر مع دار كليم وصاحبها من "طق طق لسلام عليكم" بلا زيادة ولا نقصان وبدون مبالغة، بل وبتغاض عن أمور شخصية كثيرة وفضائح نزهت نفسي عن الخوض فيها. لم تستسغ الفكرة، وأخبرتني بأني ألعب بالنار، وبأنها لن تسمح أبدا بذلك!

"لن تسمح أبدا بذلك"! لم أفهم معنى هذه العبارة فسألتها عن مغزاها، لكنها أبت أن تعطيني جوابا شافيا. طلبت منها بقية المبلغ

"الهزيل" لكنها أطلقت ضحكة لا أتذكر أني سمعتها تضحكها من قبل، أخبرتني بأن أحمد بخيت قامة كبيرة وما طاولها أحد إلا وانكسرت رقبته. لزمت الصمت مستغربا من تغير نبرة صوتها بـ "١٨٠" درجة، لم أعهدها يوما بتلك الحدة ولا بتلك الجدية، ولم أكن قد عهدتها من قبل بتلك الشراسة الأنثوية، ولكني أدركت مغزى القامات الشعرية بمفهوم كاتبة ما زالت ترتكب أخطاء إملائية !!!

كانت آخر كلمة تخاطبني بها عبر الفايبر: "إنس الـ ٢٠٠ يورو يا إبني"، تعمدت حينها أن تخاطبني باللهجة المصرية لكي تستفزني أكثر!

حتى تلك اللحظة كنت أظنني أخاطب امرأة بقلب طفلة، اكتشفت يومها أنها كانت أنثى وقحة تتخفى خلف قناع خفة الظل والنكتة وروح البراءة!

اتصلت بي وكالة أنباء الشعر لتجري معي حوارا عما قالت أنه موقف يدعو للغرابة والدهشة وسابقة في الوسط الأدبي الشعري. حاولت جاهدا أن أثبت كل كلام لي بدليل مادي يسنده، وأن أحصر كل حديثي عن أحمد بخيت في إطار الناشر معرضا عن الشاعر ومبتعدا عن أي تجريح شخصي تصريحا كان أم تلميحا. تم نشر اتهامي الصريح له على منبر الوكالة ليخبرني الصحفي الذي أجرى معي

الحوار بانتظار رد أحمد بخيت علي في أقرب وقت، فهو بصدد الإدلاء بتصريح مضاد "يفند" فيه اتهاماتي له بالدليل والبرهان وشهادة الشهود!!!

حافظت نفسي على اطمئنانها رغم "الدليل المحتمل لتفنيد اتهاماتي الصريحة والمعلنة لهذا الشاعر/ الناشر بما لا يدع أي مجال للمناورة"، انتظرت منه جوابا ذكيا عبقريا خاصة وأني قدمت له أدلة إدانتي بين يديه يستطيع أن يذبحني بها لو أدرك أهميتها وخطورتها لكني دعوت الله أن يطمس بصيرته عنها فكان. فلا عقد النشر الذي كان بيني بينه موقع من طرفه، ولا إيصال الـ "٥٠٠" يورو الذي استشهدت به موقع عليه بيده أو من طرف سكرتيرته حينها "هويدا عبد الواحد حسين"، ولا الحوالة البنكية الدولية التي رغم أنها تحمل اسمينا دليل على عقد شراكة كما ادعيت. غير أن الرجل أقر بكل ما ادعيته عليه ووقع باعترافه المتسرع كل البيانات الغير ممضية -المنعدمة الأثر القانوني قبل ذلك-، مستشهدا بحوالات "الفرنسية" التي سددت لي بها أقساط ديني زورا وبهتانا محرفا توظيفها ودلالتها وإطارها العام، مع شطب اسم المرسل وتحريف اسم المرسل إليه في إحداها إلى "حمراوي" بدل "حضراوي"!

صعقت للتوظيف الخاطئ للحوالات ودهشت للغباء والتواطئ الخطير بين أحمد بخيت و"الفرنسية"، كيف يترك ما بين يديه من أدلة كان

يستطيع أن يظهرني بها كأكبر "مدع" و"كذاب" لو أدرك أهميتها وأحسن استعمالها ليلجأ إلى ما يدينه أمام أصغر قاض، وكيف وصلت إليه هذه الوثائق التي لا علاقة لها بموضوعي معه. هل سطا عليها فيما سطا عليه من أوراق ووثائق أم جاءته طيعة مطواعة، ولماذا شطب اسم الفرنسية، ولماذا إن ثبت العكس ربطت هذه الكاتبة المبتدئة مصيرها بشاعر مركبه غارقة لا محالة في شر أعماله، ولماذا يعمد أحمد بخيت أصلا إلى إثبات سداده مبلغا ماليا لي مهما كان هذا المبلغ، مع أن محل الاتفاق كان طبع ونشر ديوان شعري وليس استرداد مستحقات بحلول أجل؟

"لن أسمح أبدا بذلك"! قفزت هذه العبارة إلى ذاكرتي بعد نسيان، تكشفت الحقيقة المرة أمام عيني لأجدني أمام إخراج هوليودي محكم، هل كانت شاهدة الظل تحتاج أصلا إلى كل المبلغ الذي طلبته مني بمصر لاستصدار كتبها من دار النشر التي اكتشفت أنها لم تكن سوى دار كليم نفسها والتي لم تصدر لها شيئا بعد؟ ولماذا لم تصدر كتبها حتى الآن إذن؟ ولماذا تأخر التسديد لأشهر عديدة حتى انطلق وبكل قوة بعد بياني الأول عن الشاعر أحمد بخيت؟ ولماذا تستميت امرأة متزوجة بعيدة كل البعد عن الشعر وأم وربة أسرة في استنقاذ شاعر ضائع متهم بكل جرم بشع يتنافى مع "الهالة" التي يحاول تسويقها عن نفسه؟

هل كان مجرد مصادفة أن يأتي رد أحمد بخيت علي في يومه السبت ٢٥ يناير ٢٠١٤، رد "مفحم" من أمير الشعراء كما يحب أن يلقب نفسه على لائحة اتهامي له، أم أن الأقدار شاءت أن تسقط آخر قناع له في ذكرى سقوط ولي نعمته في مصر عن عرشه!

تميز الرد بكونه رد فعل هيستيري بامتياز، لم يتأمل فيه صاحبه للحظة سطور لائحة اتهامه حتى يواجهها بسطور توازيها حجة وبرهانا ودلالة، انفعل وأرعد وأزبد ليدخل نفسه في متاهات كان في غنى عنها أوردتها في مقالي على صفحة جريدتي الثقافية نجوم الإبداع بتاريخ ٢٩ يناير، أربعة أيام فقط من تاريخ قيئه على منبر وكالة أنباء الشعر التي نشرت على منبرها اتهامي له لأول مرة!

اتهامه لي بالمرض، توعد بالمقاضاة (ما زلت أنتظر تنفيذه حتى كتابة هذه السطور!)، اعتراف صريح بكل ما ادعيته عليه من عقد نشر وعرض شراكة، واتهامي بالتهمة الجاهزة: البحث عن الشهرة، والأعجب من كل ذلك حكمه على مستوى كتابتي الذي أشادت به لجنة أمير الشعراء التي وقف هو ذاته أمامها قبل سنوات ينتظر حكمها على مستواه وقد بكى مرات عديدة قبل أن تجيزه!

تناقض ووعد ووعيد وتخبط، ووثائق الفرنسية التي حاولت معه دحض اتهاماتي له فقط لضمان جسرها إلى عالم الشهرة أو ربما فقط إلى قلبه

المزدحم بأرقام هواتف الحسناوات وعناوينهن وصفحات حسابهن على الفايسبوك!

ما زالت قدماي تحملان أثر الخطى على شاطئ الإسكندرية يوم صاحبني أحمد بخيت إليها، كنا اثنين وكانت الفرنسية ثالثتنا، كان لا بد أن يبرز عضلات كبره الشرقي وغنجه النوبي وقد خانته عضلات جسده التي رهلتها القاهرة التي تسكع في أزقتها وحواريها منذ أن استنشق كير محل حدادة والده بها الذي جاء مهاجرا من الصعيد. كانت عقدة الفقر والنقص والحاجة التي التصقت بعظامه كجلده الذي انسدت به كل مسامه كشرنقة إلا على غروره، تأشيرته إلى عالم الأنا التي استطاع أن يرفع بها حصونه الرملية وقلاعه الورقية التي سرعان ما هوت مع أول جرعة ريح ترتشفها.

استرخيت على الرمل حافي القدمين تاركا رجلي للأمواج الخفيفة تداعبها وتلهو بين أصابعها، أتأمل أفق البحر من بعيد وقد تم تتريس شاطئ الإسكندرية بذلك الدرع من الصخور الإسمنتية الرباعية القوائم، التفتت إلى شاعرنا لحظة جزر شرود لأجد الفرنسية قد استلقت برأسها على صدره وأصابع أحمد بخيت تتخلل شعرها الأشقر الذي بدأت بعض الشعيرات البيضاء تكتسحه، كان الشاطئ شبه خال إلا من ثلاثتنا تقريبا فاغتنما على حين غرة مني أو عدم

اكتراث بي تلك اللحظة الشاعرية الحميمية وهما مستلقيان على شاطئ البحر.

صعقت من المشهد الذي لم أكن أتوقعه من الشقراء المتزوجة، ولا من الشاعر المهووس بالمثل العليا، كتمت هول الصعقة في قلبي غير أن عيني فضحتا صدمة استغرابي. حاولا تبرير ما جرى بالحب المستحيل الذي لابد أن يبقى سرا ما دامت الظروف تمنع التحام قلبيهما ببعض، ووشوش لي ظني بأن الوضع لا يعدو أن يكون إلا كما تبين لي بعد حين انغماسا بينهما في أمر أعقد من مجرد قصة حب بريئة!

وكأنهما استحضرا أغنية الأطلال لأم كلثوم، قاما يتمشيان على شاطئ البحر حتى إذا بلغا منه مسافة يتوشوشان كمراهقين اثنين، انتفضا فجأة يعدوان ويتسابقان عائدين نحو نقطة انطلاقتهما/ نحوي. كانت الفرنسية تعدو كطفلة بريئة لا تماثل خفتها إلا ضحكاتها الطفولية، بينما ظل أحمد بخيت في الأخير، كان الأخير هذه المرة أخيرا وليس أولا، وكادت أنفاسه تنقطع حينما بلغ بعد لأي نقطة الوصول. لم يلجم من طيف كهولته المسترسلة بسرعة نحو شيخوخته الثائرة إلا اقتراب شابين منه وقد أتيا من بعيد يقدمان "آلاء" سعادتهما على الفرصة التي سمحت لهما بحظوة لقائه أخيرا!

-١٤-

ما زال يحملق في وأنا في صالة انتظار طائرتي التي ستقلني لأول مرة إلى القاهرة حين علم أن سر نشوتي هو لانطلاقي أخيرا إلى مصر شاعرا أشدو قصائد حب وإكبار فيها، تصادف أنها كانت بعد أن أطاح أبناؤها بثورتهم بأحد أعتى الأنظمة الشمولية في الوطن العربي.

لم يحاول حتى أن يعطيني جوابا شافيا حين سألته عن بعض الفنادق المناسبة الأجرة وسط البلد، ابتعد عني وكأني مصاب بمرض معدي. حتى عندما صادفته خلال رحلتي الثانية والثالثة، تحاشاني وكأنه روح الضيافة التي لم أحظ بها أبدا في هذا البلد الحجري.

كان علامة طريق لا غير، واستشرافا للمرحلة الإنسانية التي أقدم عليها كمغامرة إحساس.

بعد أن غدر به إخوته وغدرت به القافلة السيارة به نحو مصر وشراء العزيز له، أُهدي نصف الحسن إلى امرأة مصرية واحدة لتكرم مثواه وتتخذه ولدا، غير أن صوت جسدها أعمى منطق بصيرتها فجعلت يوسف يعاني ويعاني ويصبر ليس في حب تلك المرأة أو غيرها،بل في حب بلاد بأسرها أهدته الكيد والخيانة والوحشة والسجن، فأهداها الصفح الجميل كجماله والرحمة والحب والخبز.

ظللت أتحاشاها وأتوجس منها ريبة بل وأشمئز منها ومن أسلوبها المتخلف، هنداما حديثا حضورا، أو حتى "لزقة" كما يقال باللهجة المصرية، امرأة تكاد تحاصر زوجها في تنفسه وفي كل ما يتعلق بعمله أو اهتمامه.

كنت دائما أتساءل لم أحمد البلاوي بكل هذا الضعف النفسي والشخصياتي أمام زوجته النصف متعلمة رغم ما يدعيه من حنكة

وذكاء، ولم كل ذلك الاهتزاز الذي يجعله كغصن صغير أمام ريحها المتسلطة رغم ما يحاول أن يظهر به من عنفوان!

كانت جارية أمة باعها زوجها في سوق نخاسة ديوثيته طيلة سنوات عجزه عن تأمين لقمة عيش كريمة لها، كم تاجر بلحمها وعاطفتها. لعلها بكت أول مرة كفتاة صغيرة تزف لشيخ كبير، بكت وهي ما تزال ترغب في الإمساك بدميتها لتلاعبها وتمشط شعرها، لم تلتفت بعد إلى ما يعنيه ذلك الجسد الذي يلقي بشهوة سنينه عليها كل ليلة. لكنها تعودت مع الزمن وتلذذت بانتفاخ محفظة الخيانة التي أصبحت موردا مهما لـ.."عيش وملح" الأسرة، وبديلا عن عجز الزوج عن أبسط حقوق زوجته الطبيعية!

أصبحت "متعودة" الآن ومتمرسة على الانبطاح لطلبات زوجها اللامتناهية، فلا سبيل آخر أمامها لإسكات قرقرة المعدة إلا باستنشاق بخور الليالي الحمراء التي أصبحت رائدتها سواء في بيت زوجيتها، أو في الشقق المفروشة التي يستأجرها "العملاء" من أهل الوسط الثقافي والإعلامي المصري أو الأجانب. غير أنها وبعدما اصطدمت بتعفف مغربي رفض أن يمشي في شارع هرمها، اهتز مشروعها اللاأخلاقي لكسب لقمة فولها، حتى كادت أن تقبل على الانتحار تماما كما أقبل عليه أحمد البيلاوي عليه لأكثر من مرة قبل ذلك.

اختنقت مما آلت إليه حياتها البئيسة، وثارت على زوجها المعدم الذي كان قد وعدها قبل سنين بحياة كريمة كلها حب واهتمام، وجدت نفسها معه بعد سنين ولحمها يعرض على ناصية رصيف المتعة للذي يدفع بالعملة الصعبة. جن جنونها وتمردت على ولي نعمتها وقد تأكدت من أنه لا يرعوي في جمع المال عن اقتراف أي جرم حتى لو كان تلطيخ شرف عائلته الذي جعله بحماقته وطيشه وجشعه موضوع نقاش على صفحات الفايسبوك العربية وربما الأجنبية أيضا.

أرادت أن تتخلص من قبضة ديوثيته ومن نقص رجولته علها تظفر بنقطة ماء أخيرة تحفظها لماء وجهها الجاف.اتصلت بي بعد مقاطعتي لمدة طويلة متعنتة متكبرة متعجرفة حينما كانت تردد بمناسبة أو غير مناسبة: "أنا امرات الشاعر الإعلامي أحمد البيلاوي على سنه ورمح". غير أنها وبعدما اصطدمت بحقيقة مآلها المزرية أصبحت تتمنى أن تصبح فقط زوجة لرجل ما زال يحظى ببعض صفات الرجولة يخرجها من دواة البيزنيس الذي رهنها فيه. حينما تأكدت أن لا شيء تبقى من رجولته وبراءتها، لامت نفسها وحاولت مرارا ترك بيت الزوجية لاجئة في بيت والديها.

وكأن وجوه إخوتها "الذكور" التي كانت تذكرها كل صباح بخيبتها وخيبة كل ما خططوا له مع زوجها، قررت أن تبعث إلي بكلام طويل حزين، ابتدرته بعبارة ظاهرها عتاب وباطنها ندم شديد: "فضحتنا

قدام خلق الله يا حضراوي، فضحتنا قدام خلق الله ". كانت تلقي علي بيانها وهي تلعن اليوم الذي عرفتني فيه قاصدة اليوم الذي احتالت ونصبت علي فيه، لاريب إلى جانب زوجها وأمها وأبيها وإخوتها، مبررة جريمتها وجريمة زوجها بقلة ذات اليد وتوفر مبلغ كبير بين أيديهم في لحظة، فهل تتصرف فيه مع زوجها أم "يشحتان" وهما اللذان لا يجدان ثمن رغيف بالفول!

صححت لها مفهوم "التصرف" ومفهوم خيانة الأمانة، وطلبت منها إرجاع مستحقاتي ولو عبر أقساط ميسرة، رفضت متعلة بأن زوجها سيرفض الفكرة من أساسها، رفضت وهي تلعنه وقد أوصلها إلى ما وصلت إليه. أعلمتها أني مضطر لتوثيق قصتي معها ومع زوجها ومع هذه العائلة المصرية المجرمة شهادة للتاريخ ولزياراتي الثلاث إلى مصر، ارتعدت مفاصلها لهول ما سأقدم عليه غير أنها التصقت بشرنقة المال دون أن تحاول الخروج من فلك الدوران حول نفس طرق السداد: "الجسد"، معقبة أن زوجها أكد لها في أكثر من مناسبة أن لا خيار متاح للتسديد سواه!

يئست من هذه الأسرة التي تتخفى خلف أثافي نسائها الظالمة المظلومة، كان لابد من إعطاء فرصة أخيرة لأحمد الببلاوي وآل أحمد الببلاوي، نشرت بتاريخ ٢٩ مارس/آذار ٢٠١٤ بيانا مفتوحا أخيرا لهما على صفحتي الرسمية على موقع التواصل الاجتماعي الفايسبوك

وعلى جريدتي نجوم الإبداع، ممهلا إياهم شهرا كاملا لتسديد ما لهفاه مني من مبالغ مالية، محذرا من خروج الأمر من يدي بعد انقضاء المدة. انتهت المدة المحددة فكان لابد من بسط القضية لعموم الناس حتى تعرف قصة هذه الأسرة التي تدعي الانتماء لـ "أم الدنيا" كما يشاع، ومأساة نموذج من المثقفين والمبدعين العرب معها!

بعد تريث وصبر سنة تقريبا من إصداري بياني الأول عن أحمد بخيت، وجدتني مضطرا لنشر البيان الجديد عنها وعن زوجها المفترض أحمد البيلاوي. لم أجد بدا من كتابة قصتي معهما رغم دناءة موضوعها لما يمثله من انحطاط أخلاقي وديوثية كم ربأت بنفسي ألا أذكرها حتى لا أتهم بمهاجمة النساء المصريات أو لي ذراع من اختلفت معه باختلاق شيء عن نقطة ضعفه "حليلته"، غير أن ما كشفته شمس الشواهد لا يمكن أن تستره كف الحلم، فجاء الأمر في سياقه وضمن حدثه مع حيائي وخجلي من ذكر أمور لو نشرتها عن هذه الأسرة بل مجمل هذه العائلة المصرية غير المحترمة، لشاب من هولها الرضع بل والأجنة في بطون أمهاتهم. كانت قصة وكأنها قصة يوسف الثانية بين قوم منحطين غريبي الأطوار والعادات والكبر!

كان بياني عن أحمد البيلاوي مستندا إلى نقاط محددة ومبينة ومستندة إلى وثائق ومستندات رسمية، لم أنشرها هذه المرة رغم توفري عليها تاركا مسألة الاستدلال بها أمام القضاء فقط، سواء اضطررت إلى

رفعها أنا عليهما أو ابتدرني بها أحدهما أو كلاهما معا، مع شبه يقيني بحذوهما حذو من سبقهما –أحمد بخيت-وعدا ووعيدا لا غير.

بعد سنة كانت معدتا أحمد البلاوي وزوجته شيرين منصور محمد محمد الشافعي والإمام الشافعي رحمه الله من هذا الاسم براء، قد تعودتا على طعم الكباب والفراخ والكفتة بعد أن التصق الفول بمنعطفاتها لعقود، كيف لا ومال الشاعر المغربي الذي أحسن الظن بهما والذي سلبوه منه بكل كيد فرعوني، كان قد ملأ حسابيهما البنكي أو ربما وسادتهما اليتيمة على سريرهما الخشبي الروبابيكيا، والتي نتنت من شدة عرقهما المتصبب عليها أو عرق رواد البيت من هواة لحم شيرين.

بعد أن اختلفت الرؤى بين شاعر الفصحى وشاعر العامية البسيط الذي ما زال يعتقد نفسه شوقي زمانه، أفاجأ كدأبي منذ زرت هذا البلد الذي ما فتئ يفاجئني من تعاملت معهم من أبنائه، بإطلاقه جريدة غير جريدتنا التي تعبت من أجل تحقيقها ومؤسسة إعلامية أخرى غير تلك التي بذلت من أجلها الغالي والنفيس والكثير من الجهد والأعصاب، وبتأجيره لمكتبنا الذي "شطبته" وجهزته، كشقة مفروشة لأحد أصدقائه. كيف قبل "الحاج" أبو شيرين الذي لا يترك صلاة واحدة في المسجد القريب من العمارة ولا تفارق المسبحة يده أن يكون شريكا في عملية نصب على شاعر غريب توسم فيه وفي

أهل بيته كل خير، وكيف قبلت الحاجة أم شيرين التي استضافتني على صحن "كوشري" يتيم أول ما انتقلت إلى الشقة/المكتب في الطابق الأعلى منهم، و"أهل البيت المحجبات" الساجدات الذاكرات، إلى وجوه الشر الأخرى ربما الوحيدة التي لا تنسجم مع مظهر إيقاع هذا البيت: نبيل وأيمن!

ساءلته عن سبب غيابه عن جريدتنا/ جريدتي بهذا الشكل الفجائي واطلاقه لجريدة أخرى واضح جدا مصدر تمويلها فكان سبب ذلك هو "بانر الجريدة" الذي اختفى فجأة ومن عليه اسمانا معا. كان اختفاء هذا "البانر" والذي كان أصلا نتيجة خطإ تقني منه هو، هو ما جعله يطلق جريدته في لمحة قياسية بدل أن يتصل بالتقني الذي لا يبعد عنه بالقاهرة إلا ببضع دقائق ليطلب منه إصلاحه وهو الذي اختاره بداية لإطلاق الموقع. لم يكن يزعجني أن يطلق منبرا إعلاميا خاصا به لكن بشرط أن يكون من حر ماله فيكون نتيجة تعبه وكده وجهده وليس بعرق وكد وجهد غيره وساعات عمل زوجته بكفاءاتها الجسدية خارج سرير الزوجية، وكيف يعقل أن تبنى مؤسسة إعلامية ترفع شعار الوعي العربي أو الفجر العربي أو ما شابه من الألقاب الزائفة والمتبدلة باستمرار بمال سطت عليه حين غفلة ليل، تماما كقرآن صهره أيمن الذي يستمع إليه طوال ليله ليبتدئ فجره بكذبة!

حزمت حقائبي ليلا لأستسلم لصخب محرك الطائرة فجرا، تركت شقة فيصل حيث مكتبي لآخر مرة بعدما استحال البقاء بين ظهراني هذه الأسرة المصرية المنعدمة لأبسط ما زخمتني به الكتب والمجلدات عن أهل مصر. لم يتمكن عادل من الوصول إلى العنوان الذي وصفته له رغم أنه امتهن سياقة التاكسي منذ زمن. أخيرا لمحته بتقاطع الزقاق مع الشارع الذي يتفرع عنه، وجهته نحوي على الهاتف فوصل أخيرا. ما إن انقض على حقيبتي ووضعها في صندوق السيارة حتى استغرب من المكان الذي اختاره البلاوي لي لأقيم به وأفتح مكتبا.

اتجهنا نحو المطار، وكأني أحرجته ولم يشغل العداد إلا حين طلبت منه ذلك بعدما انطلق بنا في عتمة المدينة، توالت تعريفته أمام عيني كجرعات الألم والحزن والخيبة التي عرفت منذ وصولي إلى القاهرة. كانت أرقامه تتزايد كل مسافة ازديادا طرديا طبيعيا، فعداد التاكسي لا ترجع أرقامه أبدا إلى الخلف أو تتناقص إلا بعد أن تدفع الثمن، وقد كان الثمن الذي دفعته في حب مصر وأهلها غاليا، وغاليا جدا.

لم أعد ذلك الشخص الذي ينتظر طائرته ببروكسل أمام بوابة صالة الانتظار لتقله بعد قليل لأول مرة إلى مصر، ولم أعد ذلك الطفل الذي ينتظر هدية العيد، مات الطفل في داخلي وهرمت أحلامه التي

شاخت وغطاها غبار رميم قبور الأموات، التي تحتاج إلى تحنيط الحبر والأوراق.

عطف بي عادل على القلعة، هاهي ذي أخيرا تنتصب أمامي، لم يأل جهدا في مدحها لي شارحا مداخلها ومخارجها والجسر الذي كان يوما ما معلقا فوقها، لم يكن يدرك أنها لم تكن إنجازا مصريا بل كرديا أيوبيا شيد فوق أرض مصر لا غير، تماما كمعالم كثيرة لم أرد الخوض فيها معه حينها، ربما كان أقسى إنجاز للمصريين فيها أنهم حملوا حجارتها كعادتهم. ما فاح منها حينها علي هو صخور الأهرام التي نقلها صلاح الدين من سفح رمل إلى أعلى جبل ليبعثها من سباتها الطويل، في عالمه هو ليكرمها بدور حضاري، بدل أن تبعث أحشاؤها غطرسة فرعون إلى عالم ما زال لم يصله طوال سنين رقاده بينها!

وكأن صدى البارود مازال يتردد في أذني وجنود محمد علي تبيد المماليك الذين لبوا دعوته إلى القلعة عن آخرهم أو تكاد، لم يدركوا بغبائهم المجبول أنهم يساقون إلى حتفهم. كم تألمت لتلك الواقعة حين قرأتها لأول مرة أيام صباي، لكني بعد أن خبرت طبع مماليك مصر "المثقفين" تساءلت هل يشبه هؤلاء أجدادهم، وإلا من أين اكتسبوا هذا الطبع المقيت؟ لقد صدوا التتر والصليبيين لكنهم تبربسوا بعدهم!

بيبرس بطل عين جاولت وعين بيسان، هو ذاته التي ما زالت تكمن روحه حول قبره بحي الظاهر حيث مسجده، تخلصت من شر التتر لكنها لم تستطع أن تتخلص من شرها فسفكت في لحظة انفجار الأنا دم قطز. القبر الذي يمر عليه كل يوم أحفاد المماليك الذين من نفس جبلة ذلك الجانب المظلم منه فقط إن ثبت نسبهم إليه : أحمد الببلاوي وشيرين منصور، فليتهما أخذا عنه صفاته الأخرى! لم يقتطعا من سيفه إلا الموضع الذي طعن به قلب قطز فأذاباه ليصوغا منه سيف غدر جديد.

حزا سيفهما في قلبي وتخلصا من فريستهما بعدما نهشاها لحما وألقياها عظما، غير أن الطبع لابد أن يغلب التطبع. كيف يقتسم أحمد الببلاوي الغنيمة مع امرأة أدت دورها على أكمل وجه وأتمه، وانصاعت له وهو الفقير المعدم الذي لا يملك حولا ولا قوة حتى لإرضائها متى تعسر به الحال وهو المبذر لكل ما يحصله بعد عناء الرسم على ضحاياه بعذوبة لسانه ونصبه المتقن، ماذا سيكسب بعد من أنثى لم تعد تفلح في استقطاب "المحافظ الممتلئة" ولم تعد تستطيع الإيقاع بمن يريدها أو تملك مؤهلات إغواء أصلا لأن توقع به كما في السابق.

وكأنه لم يصدق أن الشرف والطهر اللذين انعدما من قاموسه ما زال لهما وزن وإيقاع في قاموس غيره! صب جام غضبه على "أم عياله"

التي بدأ الشاعر المغربي يكتب عن حالتهما معه على صفحة فايسبوكه ويفضح ما أخبرته به في ساعة غباء منها. كيف تصورت أو اعتقدت أنها بكشف حيثيات عملية النصب عليه مع زوجها ستجعله يسامحها ويغفر لها تجرأها على حرمة إرث أخلاقه، وكيف سول لها الظن أنها سنجو من السفينة الغارقة بها وبزوجها خاصة بعدما اكتشفت علاقته بوجه الكاستين الجديد الذي كان يخطط له كموديل أحدث في مشروع نصب آخر لكن بشكل احترافي أكثر ومردودية محتملة أكبر لما يتمتع به من قوام مائس ودلال مائع؟

- الزاي وانت بحالتك دي أقنعهتها تصاحبك كل المدة دي وانا وانت عارفين أنك بايز؟

- يا ولية بلاش الأسلوب ده معايا؟

- نصب وشاركتك فيه، فضيحة وراكباني لشوشتي، كان يرضيك إيه ثاني بس، وجزاتي تغيرني زي مبتغير أواعيك، دي آخرتها معاك يا ببلاوي؟

- يا شيرين يا حبيبتي هو أنا معقول أتخلى عن أم عيالي، سوزان دي صفقة بس؟

- صفقة! صفقة الزاي وانت لازق لها في الطالعة والنازلة، والكلام اللي بيوصلني بيقول غير كده، حب ونظرات، هو انت شفت حكيم من ورايا ولا إيه؟

- يعني عاجباك حالتي دي، أنا أشوف الجن الازرق لو فيه أمل يرجعني طبيعي، بس مش ده موضوعنا، افهميني بس.

- فهِّمني يا خويا فهمني!

- حضراوي بيكتب عننا إيه بقى على صفحته؟

- بيكتب إيه، إنت بتسألني بيكتب إيه، ما هي فضيحتنا بقت على كل لسان في مصر والمغرب والدنيا كلها!

- الدنيا كلها ههههه، هو انسيتي إننا أم الدنيا ولا إيه؟

- وكمان ليك نفس تهزر، شوف لما اقول لك، أنا يا إما تراضيه ونقفل ع الموضوع يا تنزل بيان تكذيب آآآآه، أنا مبقيتش أقدر أنزل الشارع يا شيخ المنظر.

- بيان ههههه، هو انتي فاكراني بخيت الغبي الذي أول ما كتب عنه راح رد عليها وبدل ما يكحلها عماها، هو نفِهُمْ أرد عليه زي بخيت بس أنا لا، أنا حرد عليه بطريقتي بقى.

- نفسه ترد عليه هههه، لا والله، هو انت فاكر نفسك حاجة قصاد بخيت! وانا؟ يرضيك اللي الناس بيتوشوشوه علي، ده حتى ولادنا واصحابهم وولاد اخواتي عارفين واصحابهم في المدرسة وكل أهلي عرفوا، يلعن ابو الفايس ع اليوم اللي فتحت فيه حساب أصلا.

- يا حبيبتي الناس مش حتصدقه، هو مين ده اللي ممكن يصدق أنو عريس جديد ولا مؤاخذة..

- عريس جديد، يعني إيه، هو انت اتجوزت علي ولا إيه، طب الزاي هههه؟

- يا حبيبتي سوزان دي لعبتي الجديدة، أولا أنا بوضبها من زمان ومفهمها العبارة كلها من طقطق لسلام عليكم، وكله بثمنه وانتي ست الفاهمين. هي عايزة شهرة، أخش لها أنا من باب الشهرة بقى، حاجة ثانية متلزمنيش إلا إذا...

- إلا إذا إيه...؟

- إلا إذا نفعت واستنفعت طبعا.!

- يااااه، إنت تغيرت قوي يا احمد، شوف كنا فين وبقينا فين، يعني أنا خلاص بقى، مبقاليش دور في حياتك خالص، وبالسهولة دي.

- لا إنتي مراتي حبيبتي، بس إنت طالق.

- طالق، يا لهوي يا لهوي يا لهوي، حرام عليك ده انا اللي كنت بتؤمر بيه بنفذه على طول، اللي بتؤمر بيه. عشتي عمري كله خدامة ليك وطاوعتك في اللي أي ست ثانية كانت مستحيل تطاوعك فيه.

- لأ تطاوعني فيه. شوفي بقى لما اقولك، سوزان دي آخر صيحة بقى في الموال ده عشان نخلص من الفقر اللي اقرفنا منه ونضمن مستقبل العيال، واهي عملية واحدة وخلاص، عجبك تبقي مراتي على سنة الله ورسوله -في السر طبعا- أهلا وسهلا، معجبكيش يبقى كل واحد يشوف مصلحته.

- مصلحته؟ دي آخرتها معاك يا احمد؟

- يا حبيبتي أنا داخل على مرحلة جديدة، إنتاج وجرنال وطبع كتب وحاجات ياما، ولازمنا فكة، والفكة هي سوزان مديرة مكتبي.

-هو فين المكتب ده، إنت مصدق نفسك ولا إيه، ولا هو كمان افتراضي ع الفيسبوك، خايف لتطلع إنت زيو افتراضي، ولا اقولك، إنت افتراضي فعلا يا بعلي.

- بعلك هههه، لا حول الله يا رب، إنتي بتجيبي الألفاظ دي بس منين؟ الناس دي الوقت بقت تحب الموديلات الأمريكاني، وانتي ولا مؤاخذة بقيتي بلدي قوي ولازقالي، ده حتى حضراوي وصفك وصف يا شيخه هههه.

- يعني عاجبك كلامه ومصدقه كمان، إخص كنت متعشمة فيك تغير علي وتدافع عني وترفع راسي قدام الخلق، أو على الأقل تقول أنه كذاب.

- يا حبيبتي كل ده غلطتك إنتي، إنتي اللي اتسربعتي زي عوايدك وحكيتي لو ع المفيد عشان قال إيه، يسامحك يا سلام.

- ومين اللي جابو البيت أول مرة وعرضني عليه ووووو... كنت عايزني أعمل إيه، أسيبه يفضحنا قدام الناس؟

- يفضحنا؟ عرضت عليه! مانتي كنتي موافقة يا اختي، مش انتي اللي كل مرة بتكسفيني لحد ما ألاقيلك واحد يهدي سرك شويه هههه. أمال هو عمل بكل اللي حكيتوهولو إيه؟ ده لولا غبائك ما كنش عرف كل التفاصيل دي ومكنش كتبها أصلا، واحد غيره قبل ما ينشرها كان ابتزنا وطلب الشيء الفلاني!

- إلا هو، الفلوس مبتهموش، هو بياخذ بثاره وبطريقته هو اللي ولا كانت ع البال. طيب يا خويا أنا الغلطانة زي كل مرة، بس أنا عايزاك على الأقل تطلع وتنشر تكذيب، لو كان ينفع كنت كتبته أنا، بس ماينفعش.

- تكذيب إيه ده اللي أنزله ونخش في سين وجيم وتأويلات والقضيه تكبر، لا أنا حلعب معاه بطريقتي. أنا حفهم الناس أنه عليه قضايا

هنا فمصر عشان كده ميقدرش ينزل هنا ويرفع علينا دعوة، عشان كده بيضرب من بعيد بس. وبكده الفلوس حتبقى معانا وعمره ما يشوفها ولا يحلم ترجع لو أبدا.

- هو انت فاكر الناس غبية زيك عشان تضحك عليها، ماهو أي واحد يقدر يتصل بمكتب النائب العام عشان يتأكد بنفسه وساعتها يعرف أنه ملوش دعوة بأي قضايا هنا، يا احمد الناس بقت تفهم وتعرف تتصرف، إلا انت، جبان من يوم ما عرفتك. أما الفلوس قياريت تفهم أنها ولا تهمه أصلا، هو بيخلص علينا بطريقته.

- شوفي يا حبيبتي أنا طريقة ردي عليه حتكون بتركيزي على نجاحي قدام الناس وخليه يتكلم على راحته وبكرة أفكرك. أول هام حضراوي ابتدا مشروع ومكملوش وبكده إحنا مالناش ذنب، هو ابتدى مشروع وسابه ورجع بلده، يعني فص ملح وذاب. طب أنا حكون نصبت عليه الزاي وف إيه بس؟

- وهي الناس حتصدق كده برضو، في واحد بيحط باكوهات وإيه باليورو، ويسيبها كده ويروح، شكرا سلام عليكم مالهاش لازمة عندي خلاص!!

- ثاني هام، بقى يا ولية، ثاني هاااااااام جوازي من سوزان. هو فضحني في الدنيا بظروفي، ودي الوقت كل الناس عرفت عجزي

وأكيد أعدائي حيتشفو فيا بعدما خلى سيرتي مسخرة. وطبعا مينفعش اقوم أصور لي معاك فيديو أنتيييم ننزله على المواقع اللي بتحبيها عشان أثبت لهم العكس لأن دي الحقيقة فعلا. لا أنا حسوق عليه الشغل الجامد وحتجوز، ماهو واحد ولا مؤاخذة متعسلق في دي مسائل لو قام اتجوز، حضراوي حيطلع كذاب على طول، وهنا سوزان تخش زي ما اسمها الله أكبر شيريهان لما كانت بتخش ع المسرح. هي عارفه البير وغطاه وموافقة على كل حاجة، ما هو طمع الشهرة بيعمي الناس عن حاجات أهم: أهي من ناحية تستر نفسها وبنتها ولو بجواز مع وقف التنفيذ هههه، وهي زي ما شفتي حلوة وعندها مؤهلات وتقدر تسعد نفسها وتعيش حياتها بطريقتها ماليش صالح. وانا من ناحيتي كمان مش ححرمها من حاجة، حتى الشغل حيبقى على ثقيل وعلى مستوى أعلى، مش مستوى الحواري اياه اللي بتشبكي زباينك فيه من ورا ظهري.

- بكده انت ناوي تخليها تخلف عشان تثبت للناس صدق كلامك!

- أخلف هههه، ليه عشان تبقى لازقالي فيها طول العمر، هي كام عملية وأرجعها للمورد عشان أرجع لشوشو حبيبتي.

- شوشو، يا حسرة على شوشو، دي بقت سوسو خلاص، حتى ولادي الثلاث اللي هما نقط اسمي، اتمسحوا معايا وبدل شوشو، بقت سوسو.

- بس أنا بحبك إنت يا جميل.

- بس تعرف كويس أنك اخترتها وهي مخلفة من غيرك، عشان تتلهي عنك لما تكون فاضية شغل بقى ببنتها، ماهي لازم تنشغل بأي حاجة مادام...

- شغل! ما خلاص يا ولية خلاص، نقطيني بشكاتك، وعنك مفهمتي حاجة، غباء مركب!

- غباء مركب يا عقد مركبة كلها فوق بعض فجتتك، تنحرق إن شا الله يا ربي إنت وهي قدام بنزينة يفجروها داحس إن شاء الله.

- هههه داحس، أمال الغبراء راحت فين هههه، دي إسمها داعش يا ام قويق، إسمها دااعش.

- بس خايفة عليك وعليها يا كبدي.

- من إيه بس؟

- من إيه؟ حضراوي يجيب خبر جوازك ويكتب عنها؟

- يكتب عنها إيه، هو يعرفها أصلا ولا كان تعامل معاها أصلا؟

- عندك حق يا جوزي، هو تعامل معايا بس عن طريقك طبعا، بس مش إنت حتتجوزها بالفلوس اللي سرقتها منه؟ وهي طبعا عارفة الموضوع كله، متفتكرش أنه حيعتبرها شريكة ليك؟

- لا ده لو عملها حيكون فعلا غبي والناس مش بس حتكذبوا، ده كلامه حيطلع كله فالصو.

- الظاهر إنك مش مركز معايا يا ببلاوي، فتح دماغك شوية يا خويا، هي حتكون شريكة معاك برضو، لأنها عارفة أنها فلوسه، ولو مأقنعتكش ترجعها لو، حتبقى إيه متسترة على مجرم، يعني شريكة كاملة في بلاويك، وساعتها مش حيكتب مسلسل شيرين وببلاوي على صفحته، حيكتب مسلسل سوزان وببلاوي يا روح أمك، وبالبند العريض: مغامرات الشاعر الإعلامي أحمد الببلاوي ومديرة مكتبه قال، سوزان جمال محمد، يا سلام، أدفع عمري واشوف فيك اليوم ده، إلا إذا خاذ حقه وسامحك، ولا يسامحك ليه، ينساك بس!

- إيه !!!

* * *

وددت لو أودع أحدهم وما زال بهاتفي الجوال بعض الرصيد، تفرست قائمة الأصدقاء الذين يمكن أن يكونوا يقظين بعدُ ساعتها، لكن لم يكن صوتي ليسعفني لأتحدث إلى أي منهم، ولم أكن أظن أن أجد أصلا من يمكن أن يصدق حكايتي. فقد وجه إلي "الرجل الطيب" مصمم الأغلفة كلامه ساخرا في موقف لم أتوقعه منه أبدا بأني: ما جئت مصر إلا لأفتح جمعية خيرية، أثق بهذا وذاك وأستأمن تلك وتلك.

من الصدف العجيبة التي وقفت عندها مذهولا أن اسمه كان "عادل" تماما كآخر مصري يوصلني إلى طائرتي ويقفل راجعا أدراجه، لكني لم أجد بين عادل وعادل غير الظلم والإجحاف!

وداعا..

أيها النيل الذي

قد أغرق الأحلام

ومهدا جئته حبا

فكال لقلبي الآلام

أموت ظما ولا أروى

بماء بلل الأقدام !

ما زلت لم أفهم وقد يستعصي علي الفهم ما حييت، كيف لبلد جاءها شوقا شاعر بعدما قطع آلاف الأميال فقط ليتغنى ثورتها التي قامت بها على من ألهب ظهرها بالسوط لعقود، أن تحاك له شراك النصب والاحتيال من طرف شاعر أو أمير الشعراء كما يزعم والذي يدعي أنه لسان شعبه الصادق المحب، وإعلامي مغمور مستعينا بزوجته وأهلها جميعا إلا من رحم الله أو لربما غاب في مهمة نصب مشابهة على غيري، بدل أن يلتفت إلى صحيفتي التي أتيت أرضهم لألقيها من على منصة ميدان التحرير أيام كان بها ثوار؟ أم لم تكن الخيانة التي تعرضت لها من طرف هؤلاء إلا حلقة في خيانتهم لحلم بلدهم مصر والأمة العربية والإسلامية برمتها، خيانة عبيد لروح حرة

تشدو نشيد كرامة هبت نسائم أطلسية على وطن عشش فيه الذل حتى نما أهراما، بل والتي انقلبت خيانة لبعضهم البعض!!

-تمت يوم ١٥ دجنبر ٢٠١٤-

البيان..

بسم الله الرحمان الرحيم

بيان هام للإخوة المصريين من كتاب وشعراء ومثقفين ومبدعين وإعلاميين:

نزولا عند رغبة إخوة مصريين أحبهم وأجلهم وأقدرهم ويعلم الله أني أنزلهم المكانة التي تليق بهم في قلبي، ليس رياء ولا نفاقا ولاضعفا ولا خوفا ولا تراجعا عن موقفي ممن نذرت حياتي لأن أفضحهم على رؤوس الخلق والأشهاد، أود توضيح التالي:

١- أنا لو لم أكن مغربيا لكنت مصريا، ولعلكم سمعتم مقولتي التي مشى بها الركبان يوم أطلقتها من على منصة ميدان التحرير "مغربي المولد، مصري الهوى، عربي الانتماء"، وقد وثقت بصوتي وصورتي خلال أول لقاء لي مع "أحمد البيلاوي" ذاته على قناة الهلال.

٢- توجيهي الاتهامات لمن يحمل جنسية مصرية لا يعني تهجمي على مصر بل على من يسيء إلى سمعتها من خلال إيقاع من يتوجه إليها في شراك النصب والاحتيال، وقد آن أن تتبرأ مصر منهم وتنفثهم كأدران نجاسة.

٣- توجيهي الاتهام إلى أشخاص محددين بذواتهم وأسمائهم وصفاتهم رجالا كانوا أو نساء (مع مراعاتي لعدم إقحام للعنصر النسوي في مجال الخصومة إلا إذا كان عنصرا فاعلا في الجريمة وطرفا أساسيا فيها كما هو حال من ذكرت).

٤- توثيق كل اتهام بأدلة ومستندات تثبته سواء حوالات أو عقود أو صور أو شهادة شهود! إدراكا مني للمسؤولية القضائية المدنية منها والجنائية.

٥- إخطار أحمد البيلاوي باتخاذ موقف صريح والاستماع إلى كل الوسطاء الذين يحاولون إنقاذ ماء وجهه وسمعة أسرته وأبنائه حتى لو فر من مسؤوليته نحوهم أو ضحى ببعضهم -زوجته مثلا- أو كلهم، بأن الدور قد جاء عليه الآن (بعدما تم "دعس" أحمد بخيت) بالأدلة التي لجمت كبرياءه وغروره، والذي ما زلت أنتظر وفاءه لي بمقاضاتي كما وعد على منبر وكالة أنباء الشعر!

٦- إخطار أحمد الببلاوي بأني سأسترجع مستحقاتي بعز عزيز أو بذل ذليل، سواء ارتضى ذلك بالاتفاق والتراضي أو بالفضائح أمام المحاكم، وساعتها ستطفو للعلن أدلة وحقائق أقل آثارها القانونية تطليقه من زوجته وخرابه بيته وتشريده لعائلته –هذا إن لم تسبقني يد القدر إلى ذلك- وخسارته لكل ما بناه من حرام، لأن الحرام هش وسرعان ما يتبدد مع أول نسمة حق تهب عليه.

٧- إخطار كل من توجه إلي بتهديد عبر أي وسيلة من وسائل الاتصال سواء كانت هاتفا أو وسيلة من وسائل الاتصال الاجتماعي بسب أو قذف أو ما شابه، بأني لا أريد تفريع قضيتي إلى صراعات جزئية، غير أني قد أحمله مسؤولية تواطئه تواطأ نسوة المدينة مع امرأة العزيز، فليبؤ بما يستحقه من جزاء.

٨- إخطار أحمد الببلاوي بأن سيرة ذاتية عبارة عن حكاية يوسف الثانية في أرض الفراعنة تحمل عنوان "عصابة شيرين وببلاوي" بعدما انتهيت من توثيق "في شراك أحمد بخيت"، قد أصبحت الآن جاهزة للنشر موثقة إجرامه في حقي، لا يمنعني عن نشرها إلا أملي الأخير في أن يلتفت إلى صوت ضميره إن كان قد تبقى له ضمير، -تماما كما فعلت مع أحمد بخيت وأمهلته من قبل مدة مماثلة لكنه باء بكبره وعجرفته الشرقية-، وحتى لا يلومني على إصدارها أحد بعدها، فلن أبعث بها إلى المطبعة إلا بعد أن أتوصل بآخر رد من أحمد الببلاوي

سواء بقبوله أو رفضه إقفال هذا الملف بكل حسنى (مع اعتبار أن صمته وإحجامه عن أي رد بمثابة الرفض). أما بعد اتخاذ قرار النشر فكل باب للاتفاق سيكون قد أقفل نهائيا وإلى الأبد، لأن الأمر سيكون قد خرج ساعتها من يدي، وأصبح ملك القارئ العربي المتلهف على التقام بعض الحقائق المؤسفة.

٩- تذرع أحمد البيلاوي بعدم امتلاك المبلغ لتسديده لي تذرع كاذب، فهو يملك بيتين يتلقى إيجار أحدهما كل شهر وإيجار محل تجاري أيضا، ومبالغ بالبنك باسمه وباسم زوجته، وإنما هو الطمع والجشع الذي سيجعلهما يخسران كل شيء إذا استمرا في عنادهما!

١٠- تحييد الخصومة عن الانتماء الوطني أو الديني أو المذهبي أو السياسي، لأن الموضوع موضوع نصب واحتيال لاغير، وتحييد كل اتهام غبي تهربا من جريمته لمحاولة إلباسها لباس الركوب على الحدث.

١١- إخطار أحمد البيلاوي بأن لزومه الصمت حتى الآن ليس في صالحه، وبأنه "بمزاجي" وحِلمي عليه، لأني حين أقرر أن يتكلم فإني سأجعله يتكلم وبكل سهولة، تماما كما فعلتُ مع من سبقه "أحمد بخيت"، لكن في المقابل أدعوه لأن يفكر جيدا قبل أن يقرر الرد فلا يقع في أخطاء من سبقه وأدان نفسه بـ...: "غبائه"!

١٢- إخطار أحمد البيلاوي بأن ينسى كل حلم له في المجال الإعلامي وبأن يلزم بيته أو يبحث له عن عمل يليق (بقدراته المتواضعة)، فمستقبله الإعلامي والفني أصبح من الماضي لأن لقلقته الوصولية ذبحته. الحربائية /الغباء لا يؤديان إلا إلى خطوات متخلفة انتحارية، تتجلى يوما بعد يوم في سلوكيات الحمقى والمغفلين.

١٣-التعهد من طرفي بأن أسعى جاهدا لأن أجعل القارئ المصري خصوصا والعربي عموما ينسى قصة ريا وسكينة وعبد العال، وجعل قصة بخيت والبيلاوي وشيرين تحل محلها، وقد ينسى الناس اسمي بعد حين لكنهم لن ينسوا أبدا الشخصيات التي كتب عنها شاعر مغربي في أرض الفراعنة، من يدري فقد تصبح حكايتهم مسرحية يضحك فيها على خيبتهم وفضائحهم كل ذي روح مرحة!

١٤- إخطار أحمد البيلاوي بإعادة قراءة البيان مرة أخرى إذا لم يفهمه وهو شاعر العامية، ففي الإعادة إفادة.

الشاعر أحمد حضراوي في ٢٩ مارس٢٠١٣، ولقد أعذر من أنذر.